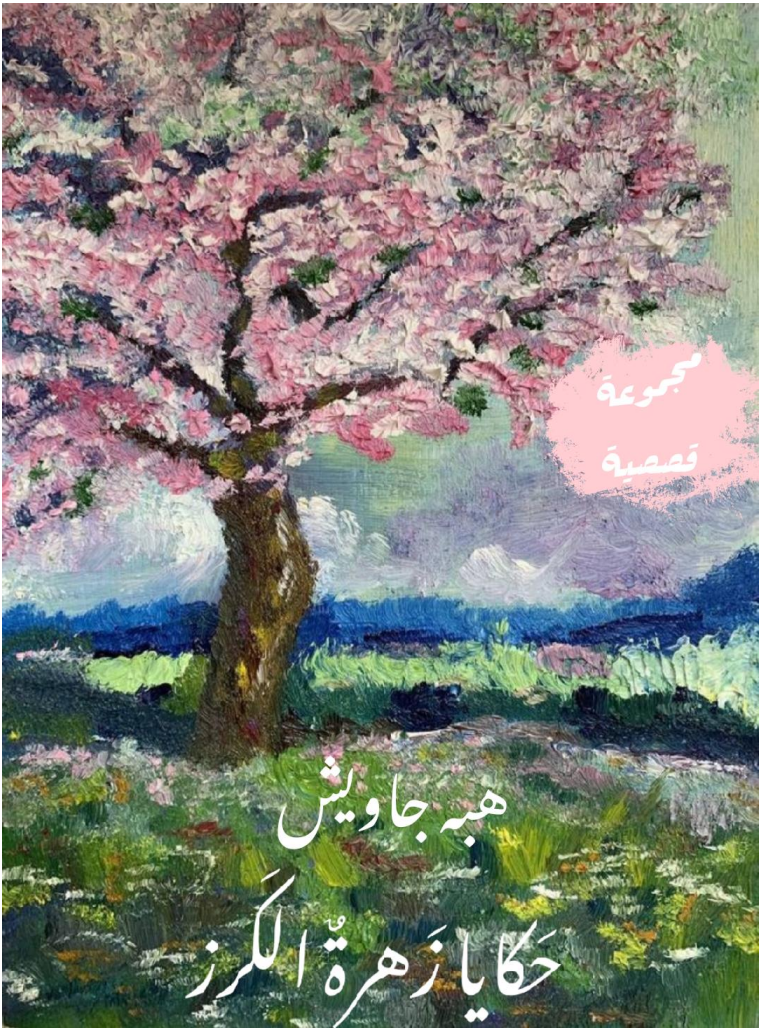
مجموعة
قصصية
هبة جاويش
حكايا زهرة الكرز

حكايا زهرة الكرز

مجموعة قصصية

للكاتبة / هبه جاويش

إهداء ..

مساء الخير بتوقيتك ..

إلى أولئك من يَعشقون الحكايا

من يرغبون بقصة تُشبه خيالهم و أمالهم .. ربما

من إفتقدوا قصص الجدات و جلسات السمر

من يهوى القهوة

من يبحث عن الدفئ متمثل في كلمات

إليك أنت ..

مقدمة

كانت دائمًا ما تجمعنا الجدة زهرة أسفل شجرة الكرز بحديقة منزلها في ليالي الخميس لتحكي لنا الحكايا منها المرعب و المخيف و منها الرومانسي اللطيف و منها ما يوجد به درساً مستفاد

بعضها قصص و حكايات حدثت مع المعارف و الأصدقاء و منها تجارب شخصية

و لكن أجمل ما كان بحكايا الجدة زهرة هى تلك المشاعر المختلطة .. طارة دافئة و طارة غاضبة

كانت جميع كلماتها تمدنا بالدفئ و المشاعر

حكايا زهرة الكرز

نجمة قلبي

أحببت عدوي للدرجة التي أفقدتني صوابي ، مشاعري في تصارع مستمر تتأرجح بين الحب و الكره تتأرجح بين المسامحة و الإنتقام لا أعلم أيهما الأصدق هل هو الحب ام الإنتقام ؟!!

لا أعلم أيهما اختار ؟ هل أنسى الماضي و جُرح قلبي و أختار الحاضر بما فيه من مقدمات رائعة لمستقبل بهي مع عدوي الرائع .. ؟

عدوي صاحب القلب النقي و المشاعر البريئة ، هل ستكرهني عند علمك بالحقيقة يا عدو قلبي ؟؟

تلك كانت الكلمات في مقدمة رسالتي .. رسالتي إلى عدوي .....

هل أرسلتها ؟ لا أعلم حتى الآن لا أعلم ، و لكني سوف أخرج ما بجعبتي من مشاعر حقد و حب من ذكريات و أفكار و إنتقام بتلك الصفحات علّ قلبي يهدأ علّ نفسي تجد بعض الراحة .

تسبب والده في إفلاس شركة والدي و إنتحاره لتلقى والدتي حتفها بعده جراء الحزن قصة كلاسيكية مُكررة حدثت آلاف المرات و لكن الغير مكرر هو إنتقامي بإيلام قلب عدوي و إفساد حياته السعيدة و التي عن طريق الخطأ آلمتني معه .

والدي رجل أعمال ميسور الحال أسرتي صغيرة و لطيفة ، أمي صاحبة القلب الأنقى و الأطهر على الإطلاق هى رقيقة المشاعر بدرجة لا توصف ، أذكر بكاؤها لمدة يوم كامل عندما كسرت قطتي قدمها بالخطأ عند وقوعها من فوق غصن الشجرة حدث هذا بطفولتي ولكن لازلت أتذكر .. أذكر لومها لنفسها لأنها لم تكن بالجوار لإنقاذها هو مجرد حادث و لكنها حزنت على آلم تلك الروح البريئة التي لا تستطيع طلب المساعدة أو البوح بما يؤلمها .

أجل هذه هى أمي .. أو كانت أمي فهى لم تعد بيننا بعد الآن .

تدهورت أعمال أبي بشكلٍ متكرر بسبب شركات رجل آخر كان يقدم الرشاوى و غيرها ليستحوذ على كل شئ .

رجل فقد قلبه و نزاهته باع ضميره من أجل حفنة من المال كان هو سبب تعاستي الأبدية ..

تدهورت أحوال أبي لم أعد أراه أصابه الهم و المرض من كثرة التفكير من كثرة المحاولات لإنقاذ عمله الذي بناه من الصفر عندما بدأ في عمرٍ صغيرة ، إزاء ذلك ذبلت أمى حزناً .

كنت أرى كل ذلك أمامي و أقف مكتوفة الأيدي مازلت طالبة جامعية لا تعرف شئ عن الأعمال بالشركات لا أملك بيدي سوى المواساة .

إلى أن آتت الفرصة لأبي ليصمد مع عمله من خلال صفقة مميزة سوف تُنقذ شركته و موظفيه من التشرد ، أولئك الموظفون الذين رأيت أبي يبكي قهراً من أجلهم خائف على تشرد تلك الأسر بسبب إفلاس عمله .

اليوم المنشود .....

يوم إعلان الفائز بتلك الصفقة و التي كان أبي واثقاً للغاية من ربحها نظراً لعمله المضني و سهره هو و موظفيه للعمل عليها ، فالعمل يملكونه جميعاً ليس أبي وحده بل و كل من يعمل معه أيضاً له جزء من ذلك الجهد هكذا علمني أبي حيث كان كل العاملين هم عائلتنا الكبيرة نعرفهم فرداً فرد .

خرج أبي في أبهى حلّة يرتدي بذته الكحلية التي إختارتها أمي و مرت الساعات و لا يوجد خبر

أبي لا يجيب إتصالاتنا و لا نعلم ماذا حدث .

آتى الليل و آتى معه ما كنا نخشاه خسارة والدي للعمل بسبب ذلك الرجل ، والدي لم يبكي لم يتحدث بل ظل حبيس مكتبه عدة أيام و ليال .

أرى أمي تدهور صحتها حزناً و أنا مكتوفة الأيدي لا أعلم كيف أتصرف أو كيف أخفف عنهم ما هم به من محنة ثقيلة ، حتى تلك اللحظة المشئومة ..

سمعنا صوت طلقة مدواة من داخل منزلنا في الساعة الواحدة

صباحاً ما آثار رعبي أن الصوت قادم من غرفة المكتب الخاص بـ أبي

كنا نركض تتلاحق أقدامنا أنا و أمي عبر المنزل نتعثر بالدرج بخوف و لوعة لنصل صوب الصوت الصادر من تلك الغرفة الكريهة لأرى أبشع مشهد قد تراه عين بشرية أبي أنهى حياته بطلقةٍ واحدة .

إختار الموت و لم يعلم أن موته يعني موت أسرتنا معه .....

مع الوقت كان المنزل يعج برجال الشرطة و موظفين من أماكن كثيرة لا أفقه شئونها ليتم دفن جثمانه ثم الحجز على جميع ما يملك نظراً للديون الكثيرة عليه .

مرّ علي أنا و أمي أسوء أسبوع بين صدمتنا من موت أبي إلى أخذ كل ما نملك حتى منزلنا و الذي بالمناسبة قام غريم أبي بشراؤه مضحك أليس كذلك ؟!!

حدث كل شئ بلمح البصر رغم مروره ببطئٍ مفجع على قلوبنا خسرنا عامود أسرتنا الصغيرة و منزلنا كل شئ خسرناه .....

و لكن يبدو أن والدي كان على علم بما سيحدث فهو ترك لنا رسالة مع أحد موظفيه كان محتواها مؤلم بقدر موت أبي ..

رسالة إعتذار مطولة و عقد شقة صغيرة يبدو أنه لم يرغب بأن نتشرد في الشوارع بعد موته و كأن تلك الشقة سَتُهدأ من نار قلوبنا على ما حدث أو على تفريطه بنفسه و روحه .

الشقة كانت صغيرة و لكنها مؤثثة كما وجدنا مبلغ مالي جيد نستطيع العيش به مدة ، في اليوم التاسع من وفاة أبي لحقته أمي العزيزة فهى لم تتحمل كل ما مررنا به لتتركني وحدي كان عليها التماسك من أجلي فـ أنا لا أملك أحد ، لا توجد كلمات بإمكانها وصف ما شعرت به حينها ، لقد فقدت جوهرة حياتي و نور قلبي أبي و أمي في بضعة أيام .

تركوني وحيدة أمام هذا العالم الموحش أواجه أحزاني و حرقة قلبي بمفردي بدون إحتواء أمي و ظهر أبي الذي دائما ما كان درعي لمواجهة الحياة .

لا أعرف كيفية التصرف قضيت حياتي فتاة أبي المدللة ، اااه يا أمي ليتك بجواري لما غادرتني أنتِ أيضاً لما ؟

. غادرا و تركاني للوحدة و الخوف ينهشان قلبي و عقلي

إنقضى المزيد من الأيام أسبوع يليه الآخر ثلاثة أشهر و أنا في تلك الشقة لا أخرج منها سوى لشراء ما يكفيني من الطعام كل فترة .

و جل ما بذهني هو الإنتقام ، الإنتقام من ذلك الرجل الحقير فهو لم يكفيه ما حدث لنا بل إستولى على جميع ممتلكات أبي مفارقة مؤلمة أليس كذلك .. !

في الشهر الرابع قررت الإنتقام أنا لم أعد أملك شئ و لا أحد لا أملك سوى قهر قلبي و دموعي فكرت كثيراً في كيفية

الإنتقام كيف أسلب هذا الرجل كل ما يملك ، أرغب و بشدة في رؤيته ميتً على قيد الحياة .. مثلي تماماً .

جمعت الكثير من المعلومات عنه حتى إني صادقت ابنة خادمة منزله لأستخرج منها أي معلومة حتى و لو صغيرة .

يملك ابن وحيد زوجته متوفية ، إذاً ذلك الإبن سيكون مفتاح وصولي لهدم هذا الرجل ، جَمعت ما يمكنني معرفته عن هذا الابن و الذي بالمصادفة في نفس عمري علمت أين يدرس و ما هى هواياته و غيرها الكثير من المعلومات عن شخصيته و التي كلما وصلت إلى معلومات أكثر كنت أرى شخصية أمي ذاتها تنطبق على هذا الشاب .

بقدر كرهي لما سيحدث و إستغلالي لشخصية رقيقة كما كانت أمي بقدر سهولة عملي الآن .

فقد حان وقت خطتي التي وضعتها بسهولة أشكرك للغاية أيها الشاب كونك رهيف المشاعر و طيب القلب لقد سهلت مهمتي في تحطيمك أنت و أبيك كما تحطمت أنا .....

إنتقلت إلى ذات الجامعة للتقرب من الإبن ألم أقل لكم أن الأمر كلاسيكياً للغاية و لكن الجديد هو ادعائي العمى ..

نعم أصبحت كفيفة أضع نظارة سوداء أخفي بها عيناى و أتحسس طريقي مع كامل إعتذاري للكفيفين آسفة لهذا الإستغلال و لكن ما باليد حيلة .

حضّرت نفسي للذهاب و تعطرت بعطري المفضل الآن " الأقحوان "

إختارت تلك الزهرة خصيصاً فهى المفضلة لدى والدته الراحلة و لا شئ يمكنه جعل قلب أحدهم يخفق كذكرى لحبيبٍ راحل ...

قد أبدو لكم كريهة و بغيضة و لكني لست بدرجة بغض أبيه القاتل من سلب مني جل ما أملك .

في طريقي إلى مكان المحاضرة تعثرت به تعثرت بضالتي فـ أنا خططت جيداً كما إنني ممثلة بارعة أتقنت دوري جيداً .

تعثرت به لتسقط عصاي ، تّمسك بي و أغرقني بالإعتذارات

فهو شخص مهذب كما قيل لي .

ـ أعتذر يا آنسة كنت شارد بعض الشئ .. هل أنتِ ضائعة أتحتاجين مساعدة ؟

* اجل .. أجبته أخبره مكان قاعة المحاضرات و طلبت منه إيصالي ، تّمسك بطرف عصاي و أرشدني .

أراه يلتفت لي و يبتسم إبتاسمات رقيقة و مهذبة هو يعتقد إنى لا أراه و لكني أُراقب كل تحركاته و لفتاته .

أراه يُحاول التحدث و لكن كل مرة يفرق شفتاه يتراجع ، لابدأ أنا الحديث بالتعارف أخبرته باسمي و عرفني بنفسه و اسمه ، كأنني لا أعرفه من قبل أحثه على التحدث بأريحية معي حتى تجرأ و سألني السؤال المحتجز بحلقه ..

ـ أتحبين الأقحوان ؟

حينها فقط علمت بأني أصبت النقطة و أحرزت أول هدف و بلع فريستي الطعم .

* كيف علمت ؟!

اجل أنا أعشق الأقحوان رغم غرابة رائحته هو لا يستخدم في العطور إلا نادراً و لكنى أعشق التعطر به

- اه لذلك .. كانت أمي أيضاً تعشق الأقحوان و تقوم بزراعته و تتعطر به ، حتى أنها كانت تشرب شاي الأقحوان .

ابتسم آخر حديثه و نظر للأرض أعتقد إنه يشتاق لوالدته كما أشتاق أنا أيضاً .

* يبدو أن لنا ذوق مشابه ، قلتها لنتوقف أمام القاعة فقد وصلنا و قُطعت محادثتنا .

- لقد وصلنا إلى مكان المحاضرة تفضلي بالدخول .

شكرته و ودعته بلطفٍ بالغ رغم كرهي لكل ما به و لكن ما باليد حيلة بدأت لُعبتي و عليّ أن أنهيها لا مجال للتراجع الآن .

عقب مغادرتي لقاعة المحاضرة ذهبت إلى الحديقة الخاصة بالجامعة لأجده هناك لم يكن وحيداً كان حوله العديد من الفتية و الفتيات يتسامرن سوياً و ربما يتناقشون بشأن المحاضرات و الدراسة .

كان يملك العديد من الأصدقاء بينما أنا وحيدة ، أراه يبتسم بوسع بينما أنا يكاد قلبي ينشطر و كأنه يرغب بالفرار من بين أضلعي .

لطيفٌ هو و مُحبب كما وُصف لي ، و لكني أراه شيطانً حتى لو لم يكن هو المذنب و لكنه سليله .

شردت أنظر له بتمعن هو و أصدقائه و أتنهد بين كل فينة و فينة أتنهد بثقل عليّ ازفر أثقال قلبي و لكنه رآني .. كل الشكر لنظارتي التي تُخفي عيناي و تَخفي تلك الدموع الحبيسة بين جفوني تصارع للسقوط و كأنه مارثون ما الأسرع في السقوط سيفوز .

توجه إلي بخطوات هادئة و ابتسامة بسيطة رغم علمه إني لا أراه و لا أرها و لكنه يبتسم .

ـ مرحبا مرة آخرى أتذكريني ؟

* بلى أذكر صوتك جيداً

كم وددت إخباره إني احفظ ملامحه عن ظهر قلب و أتوعدها يومياً بأشد عقاب ، إجتاحتني رغبة ملحة بلكم تلك الإبتسامة و لكني تماسكت .

ـ أتودين بعض الرفقة ؟

* لا ضير من بعض الأصدقاء لو كانوا لطيفين مثلك فـأنا وحيدة هنا كما ترى .

بنبرة طيبة تحدثت و كأني ألطف إناث الأرض قلباً و أنا بعيدة كل البعد عن اللطف أنا آلة إنتقام متحركة أو أصبحت كذلك بفضل والده .

- حسناً لنذهب إلى الأصدقاء .

بادلني الابتسام و أخذ بطرف عصاي لمكان أصدقائه و لكني تعثرت بسبب شرودي ليتمسك بي بقوة و يكمل طريقه ..

مراعي هو لم يُرد إحراجي .

تعرفت بأصدقائه و لم يكونوا أقل وداً منه مجموعة من الأصدقاء الودودين ذوي الأبتسامات اللطيفة وهذا شئ كنت في أشد الحاجة إليه ، و ربما لو كنا في موقفٍ آخر لكانت واحدة من أسعد أيامي .

بمرور الأيام تقربت منه كثيراً هو و أصدقائه و بمرور شهر كان ينتظرني كل يوم عند بوابة الجامعة ليدلني على قاعة محاضراتي ينتظرني و تعلو ثغره ابتسامة دافئة .

ابتسامة تُعيد لي ذكريات إبتسامة أمى عند إيقاظي كل صباح فهو يشبهها بشدة يشبهها للحد الذي يؤلم قلبي .

ينتظر ،نتهاء محاضراتي لنجلس مع الأصدقاء و في بعض الأحيان يصحبني إلى المكتبة لقراءة بعض المراجع الهامة يتلوها على مسمعي بصوتٍ هادئ و نظرات لطيفة نظرة خالية .. من الشفقة و البغض عكس نظراتي الكارهة

لتمر الأيام و أنا أتقرب منه أكثر و أكثر أُلاحظ إعجابه بي فهو واضح كالشمس بسبب خجله بوجودي إلى جواره بعكس الآخريات .....

****

- أثناء تجوالي في الجامعة إصتدمت بها تلك الفتاة اللطيفة ذات النظارة السوداء و العبوس و تقطيبة الحاجب من يراه يدرك مدى غضبها و سخطها على العالم و لكن أنا قلبي خفق و لا أدرك لما ؟!!

ربما أول ما جذبني إليها كانت رائحة الأقحوان و التي لا يتعطر بها الكثيرين فهى رائحة أمي المفضلة دائماً ما إعتادت على التعطر بالأقحوان رغم إعتراض الكثيرين و إستغرابهم و لكنها كانت تعشقه .

دائمًا ما أخبرتني أن لرائحة الأقحوان عبير مميز إذا ما تُهنا و ابتعدنا عن بعضنا البعض ستتعرف علي دائمًا من رائحتي ، و هي كانت مليئة برائحتها عبير أمي " الأقحوان "

تعرفنا و صرنا أصدقاء و رفقة كنت دائماً ما أراها مبتسمة كلما نظرت نحوها و لكنها كانت ابتاسمة مرهقة لوجهٍ ذابل رغم جماله و كأنها تُرغم نفسها على الإبتسام في وجهى ، أعلم هى لا تراني و لكن ربما يمكنها الشعور بي فكما يقولون إن القلوب تتلاقى .

دائماً ما كنت أشعر بإنجذاب غريب نحوها و كأن هناك من يقودني للسقوط في بئر المشاعر ، صوتها الرائع عند الحديث و ابتسامتها الندية حتى تقطيبة حاجباها التي لا تُفك كعناق أسير لوالدته بعد عودته إلى الوطن جميعها تجذبني إليها بهدوء شديد دون بذل جهد منها .

مرت الأيام و تعمقت صداقتنا و إزداد إعجابي بها ليمر ثلاثة أشهر و لأحساسي بالشعور المتبادل بيننا قررت أخيراً الإعتراف .....

أنتظرها أمام بوابة الجامعة كالعادة و لكني اليوم أحمل إناء من زهور الأقحوان المفضلة لدينا

إنعكاس أشعة الشمس على إبتسامتها و نظارتها السوداء زاد من هالتها جمالاً فهى لها هالة تختلف عن الآخريات ، دائماً ما رأيتها قوية و مقدامة رغم الشجون الدائم في بحة صوتها .

نجمة قلبي مختلفة تختلف عن جميع الفتايات لها حضورها و شخصيتها الخاصة و التي تجبرك على الوقوع لها .....

أهديتها الأقحوان و تبادلنا الأحاديث و أخيراً إستمديت الشجاعة و اعترفت بمشاعري تجاهها و لحسن حظي كانت المشاعر متبادلة بيننا فهي إبتسمت و تراقصت على وجنتها تلك الغيوم الوردية مردفةٌ أنا أيضاً ..

كان هذا اليوم أحد أسعد أيام حياتي على الإطلاق .. و ربما العكس

****

* أخيراً وقعت فريستي تحت السيطرة و نجح الجزء الأصعب من خُطتي فقد إعترف لي عدوي بمشاعره و لكن الغريب خفقة قلبي عند سماعي إعترافه أكاد أقسم إني إبتسمت من قلبي و

ليس مجرد إصطناع كالعادة .

خجلت و شعرت بالسعادة أيعقل إني أتقنت التمثيل لتلك الدرجة ؟ ام إنني مريضة فحسب !!

فمنذ إعترافه لي بمشاعره و صورته لا تفارق تفكيري و قلبي يخفق بشدة ..

تواعدنا على الإعتناء بإقحوانتي التي هداني إياها ، مرت الأيام و تغيرت الفصول و إزداد تعلق كلٌ منا بالآخر .

يبدو أن دفاعاتي تسقط جميعها واحداً تلو الآخر ، أنهزم لإهتمامه و حبه البالغ لي لتلك البسمة

أحاول الصمود بل أرغب في الصمود علي ذلك أنا مجبرة على الصمود حتى تكتمل خُطتي فـ أنا لا اريد الإنهزام و الخسارة مرة آخرى .

كان دائم التحديق بي ينظر لي نظرات هائمة متنهداً ....

كنت أعلم سبب تلك التنهيدة جيداً و كأنه يخبرني اتمنى لو تري مشاعري و نظرة عيناي تلك اللمعة و فيضان حبي ، دائماً ما حاول وصف ملامحه لي .

كل مرة يراني أو يسمع صوتي يخبرني بالفرق بين ملامحه قبلي و بعد دخولي حياته و كيف أن قلبه أزهر ورود اً عطرة بسببي بعدما كان قاحلاً غائماً من بعد فقدانه غاليته والدته الراحلة ..

لا يعلم إنني أراه و اتمزق بداخلي لتلك النظرات و التنهيدة الحزينة أتمزق بسبب جميع المشاعر التي تجتاحني و أنا بقربه .

دائماً ما اصطحبني للحدائق متعذراً بحبه في مراقبة السماء إلى جواري و لكنه كان يراقبني أنا خفية رغم علمه بإني لا آراه ، ااه رقيق القلب و المشاعر .

كان يصفها لي بأرق وصفٍ ممكن

ـ سماء اليوم صافية كقلبك الرقيق و القمر مشع و لكن ليس بقوة ابتسامتك العطوفة ، الغيوم متناثرة هنا و هناك و لكنهم لا يعلمون أنكِ وحدك غيمة قلبي و غيثه .

* حنون هو ، في الأشهر السابقة و بمرور الأيام كان لي الصديق و الرفيق و العائلة لم يبخل علي بالمشاعر ابداً ..

عوضني وجوده غياب أبي و أمي ، حنون هو و رقيق القلب كزهرة الأقحوان عطوف كأمي و كأن السماء أرسلته لي

عوضاً عن كل من رحلوا ليؤنس وحدتي .

كلما رغب في رؤية عيناي المتخفية في رداء العمى خلف نظارتي السوداء أخبرته أنظر إلى النجوم فهى تشبهها هكذا أخبرتني أمي ، كاذبة يا أنا فهي أشد حِلكة من ظلام الليل معمية بعمق الكره و الإنتقام يقودها .

و لكنه دائماً ما أجابني حسناً يا " **نجمة قلبي** "

هكذا كان يلقبني ..

كنت أبكي كل ليلة علّ قلبي يهدأ و تنطفئ نار الحقد بداخله و لكن لم يحدث ابداً ، كنت أصارع جاهدة و لكن دائماً ما انتصر الحقد و الإنتقام .

نعم .. كانت خطتي إيقاعه بي و لكن ما لم احسب حسابه هو أن أقع له أيضاً ، حاولت إستغلال طيبته و لكني وقعت لمشاعره النبيلة و إحساسه المرهف وقعت لتلك الإبتسامة و تلك اليد العطوفة و لكني لست آسفة فإحساسي قد مات بوفاة والداي .

أعلم الجميع يفكر أن هذا مجرد عمل ما ذنب والده في موت والداي و لكن جميع من في هذا العمل كان يعلم بوضع شركة أبي و أن تلك الصفقة كانت الأمل الوحيد له في البقاء ليستحوذ

عليها هذا اللئيم دون ذرة رحمة لتكن تلك القشة التي قسمت ظهر أبي ..

لذلك سأكون كالقشة في حلقه بل كالخنجر في قلبه .

مرّ بيننا عام قضينا معاً أيام تحمل الكثير من المشاعر الحب الآلم و حتى المرض أحياناً فهو لا يتحمل فصل الشتاء يكرهه بشدة لما يصيبه منه بالمرض ، قلبه الرقيق لا يحتمل برد الشتاء .

أحببته لا أنكر بل أحببته و بشدة هو كل ما أملك فقط الآن ، و لكن خُطتي يجب تنفيذها فهذا وعدي لوالداي الراحلان حتى يرقدا بسلام .

لا أحد يعلم كم بكيت و عانيت حتى اؤجل هذه اللحظة ، جاهدت نفسي كثيراً لأتخلى عن إنتقامي و أمضي معه حياة هانئة رغم كذباتي الكثيرة عليه و لكن أعلم سيسامحني

سيسامح نجمة قلبه ..

كان بيننا موعد ليتعرف والده بي أجل فهو طلبني للزواج ، مهما طال عمري لن أنسى تلك اللحظة

عندما تمسك بيدي وكأنها الحياة كفي بين كفاه بحنو بالغ و أخبرني بصوته الهادئ كما العادة ....

- لم أعد احتمل البقاء بدونك يا نجمة قلبي أتوافقين على مشاركتى ما تبقى من الطريق أن أكون لكي الرفيق و الضوء أن تكوني مرشدتي للسعادة أن تصبحي غيمتي و غيثي و نجمة الفؤاد .

- تشاركيني عبثي و غضبي و حبي تقاسميني فرحي و أحمل عنكِ حزنك و مرضك أتوافقين أن أكون لكِ السند و الحبيب و الزوج ؟

كان يخاطبني بنظرات لا أفهم معناها تغطي عيناه تلك الطبقة الرقيقة من دموع السعادة فهو على ثقة بموافقتي ..

بكيت رغماً عني بكيت تعالت شهقاتي و شحب وجهه خوفاً علي

وافقت .. وافقت على طلبه الذي غمرني سعادة و آلم في آن واحد فطلبه يعني نهاية الطريق

لن أنسى ما حييت تلك الضحكة السعيدة و تلك القبلة الرقيقة التي نالها ظاهر كفي تعبيراً عن فرحته

حسناً علي التماسك فالخطة أوشكت على الإنتهاء و سأنال مرادي و لكن لما الآلم ؟

لما الآلم يَفتك بقلبي و يعتصر دواخلي لما تلك الدموع الغبية تتسابق بالسقوط .. !

قمت بحزم حقائبي القليلة و التأكد من موعد طائرتي لأترك تلك الشقة المليئة بالذكريات و التي كانت أغلبها تعيسة فهى كانت دائمًا ما تحوي بكائي .....

أنا على متن الطائرة الآن مغادرةٌ الوطن و القلب و الحبيب سأختفي دون رجعة و أعلم هو بإنتظاري و لكن سينتظر كثيراً كثيراً .

أجل تلك هى خطتي الغبية إقاعه لي و هجرانه و كسر قلبه حتى يتآلم و ينتكس أبيه فلا يوجد شئ سيقسم ظهره سوى فلذة كبده .

ربما تروني حقيرة و لكني لست بحقارة أبيه الذي أفسد حياتي .

****

بمرور الوقت و بمعرفتي ما أصابهم من غم جراء إختفائي المفاجئ دون كلمة و خسارة هذا الرجل للكثير من المال بسبب

إنشغاله بمرض ابنه فقد أصابه الإكتئاب و المرض و هو الآن طريح الفراش .

ألم أخبركم برقة مشاعره و هشاشة قلبه فهو لم يحتمل فراقي كان يجب علي الشعور بالبهجة و السعادة فـأنا نلت إنتصاري

ولكن لا .. أنا لا أشعر بشئ غير الغضب و الحزن فحبيب قلبي يتألم و أنا السبب

قدم لي كل الحب و العطف كان لي الرفيق و العائلة و أنا لم أكن سوى طعنة غدر في ظهره

أتلوى في فراشي ندماً .. قلبي يقبضني

لما أتألم لما ؟

لما أتندم على فراقه لما تلك الدموع الحمقاء و الشهقات البائسة ؟

أبكي بحرقة و أتوسل العودة لذاتي و لكن ما الفائدة و قد نفذ السهم

يأبى النوم زيارتي و كأنه عقابي لما فعلت يلازمني الأرق و أراه يجلس على طرف سريري كوحش كاسر يرمي بنظرات التشفي إلي بتلك الإبتسامة المريعة .

أيامي جميعها تمر بائسة اليوم يشبه البارحة يشبه غداً ، اتكور على فراشي كـ جثة في تلك الغرفة الباردة

غرفة خالية من كل معالم الحياة غرفة خالية منه و من صوته الدافئ .

تمرّ الأيام و تزاد حالتي سوءً لا أعلم كيف أتصرف ألا يوجد سبيل يصلني إليك و كأني هجرت قلبي و ذاتي عند هجرانه ..

****

مرحباً .. كيف حالك ؟

إشتقت لك ، مرّ عام ولا زلت كما أنا أكرهك كثيراً و أحبك كثيراً

أكنت بخير يا ملاكي ؟

الإشتياق ينهش أعماقي لا أعلم هل ما زلت تذكرني ام لا ؟

تذكر تلك الخيبة التي أصابتك ام حبيبتك التي غادرت .. ؟!

كم أرغب في الإعتذار إليك و إلى قلبك و إلى نفسي لكن يعجز لساني عن قولها بعد ما افتعلته بك و سيري خلف مشاعر إنتقامي السخيف

كن بخير .. كن بخير لأجلي

لم ترسل .....

****

مرحباً هذه أنا مرة آخرى

اتمنى إنك على خير ما يرام

هل لازلت تتألم ؟؟

هل تتذكر نجمة قلبك ام الحمقاء التي هجرتك !!

رأيتك في حلمي كثيراً بالفترة الأخيرة كلما إستيقظت من حلم آلمني قلبي و تمنيت لو كان حقيقة

أتمنى رؤيتك و لو من بعيد و لعدة ثوان ليس إلا ..

هل تشفع لي عندك دموعي و أوجاع قلبي ؟؟

الوحدة تفترسني مذ غادرتك ..

إشتقت إليك و إلى عيناك الباسمة و صوتك الحنون إشتقت مناداتي يا نجمة القلب

هل بداخلك أي شعور غير البغض تجاهي ؟ اتمنى وجود بعض الإشتياق و القليل من المغفرة .

أعتني جيداً بزهرتنا الغالية زهرة الأقحوان لقد نَمت كثيراً ، أعتني بها كما علمتني فهى الشئ الوحيد الذي يدفعني للإستمرار .

كل صباح أرويها و أجلس بجوارها عند الشرفة أحتسي قهوتي و اتمنى لو كنت بجانبي في تلك البلاد البعيدة و الموحشة

ولكنها إحدى تلك الأماني البعيدة يا عزيزي ..

كيف حال جرح قلبك ؟ ألم يندمل بعد ؟

لا تعبس أنت تعرفني ماهرة في تغير المواضيع و الأحاديث العشوائية

تناول طعامك و إرتدي الملابس الثقيلة فهو فصل الشتاء الذي تبغضه

كن بخير .. وداعاً

لم ترسل .....

****

بعد مرور ثلاثة أعوام .....

أحببت عدوي للدرجة التي أفقدتني صوابي ، مشاعري في تصارع مستمر تتأرجح بين الحب و الكره تتأرجح بين المسامحة و الإنتقام لا أعلم أيهما الأصدق هل هو الحب ام الإنتقام ؟!!

لا أعلم أيهما أختار ؟ هل أنسى الماضي و جُرح قلبي و اختار الحاضر بما فيه من مقدمات رائعة لمستقبل بهي مع عدوي الرائع .. ؟

عدوي صاحب القلب النقي و المشاعر البريئة ، هل ستكرهني عند علمك بالحقيقة يا عدو قلبي ؟؟

لم تكن أنت المقصود بفعلتي كان والدك الذي أذاقني مرارة الفقد و آلم الخسارة .. خسارة كل شئ والداي و أموالي و حتى منزلي .

منزلي الذي تسكنه أنت الآن يا ساكن قلبي ، لا أعلم هل الإعتذار سيمحو أخطائي ؟

هل يجب علي الإعتذار من الأساس ؟!!

يؤلمني قلبي فـ أنا أشتاق لك كثيراً .. أشتاق لتلك البسمة و ذلك الصوت ، نعم أنا كاذبة فـ أنا كنت أرى كل لفتة و كل حركة منك .

نجمة قلبك نادمة يا ملاكي فهلا أصفحت ؟

يتآكل قلبي إشتياق و أصابني الآلم مضاعف آلم عائلتي و آلم قلبي ، أرغب بالعودة إليك إلى وطني و إلي مكاني .. إلى قلبك .. أرغب بقربك و بشدة و لكني خجلة من أفعالي

على كلٍ أردت إخبارك إني أتمزق كما أنت تألمت .. أتمزق غربةٌ و هجر

و كل ما أتمناه هو رؤياك .....

أرسلت ..

دفء برائحة التوت

كعادتي كل يوم صباحاً كنت أتمشى و بيدي قلبي و رفيقي و عائلتي الوحيدة " سام " رأيتُها لأول مرة هُناك في الحديقة التي أتوجه إليها كل صباح برفقة سام ، كانت تجلس ملتحفة بوشاحها أحمر اللون تنظر للفراغ بتلك الأعين الزُجاجية و الملامح الشاردة ، كانت أشبه بملاك سقط من السماء فقط لوداعة ملامحها .

ليس من عادتي النظر إلى الفتيات لا تفهوني بشكلٍ خاطئ و لكنها حقاً مُلفتة و كأنها تَملك هالة مميزة تجذبك للنظر إليها ..

عيناها إلتفتت تجاهي فجأة لأجفل بإحراج بادٍ على وجهي ، ابتسمت بخفة و عادت كما كانت تنظر للفراغ وسط برودة الصباح و أصوات الأطفال التي تملأ المكان و تعيث فيه ضجيجاً محبب بضحكاتهم اللطيفة ....

اه عذراً لقد نسيت أن أعرفكم بنفسي أنا " ليل " اسمي مختلف

أليس كذلك ؟؟

أنا بالثامنة و العشرون من عمري لا أملك أحد بهذا العالم سوى ابني " سام " و الذي بعمر الرابعة هو صغير و لطيف بريئ للغاية يملك ملامح جميلة و كأنه قطعة من الجنة يُشبهها كثيراً يشبه والدته و يشبه شخصٌ آخر ...

ليل

مممم لا أعلم كيف ابدأ ؟

حسناً حسناً سوف أخبركم من البداية أو من النقاط المفيدة لفضولكم ..

في سن التاسعة عشر تَعرفت عليها على مالكة قلبي " روزا " و التي كانت في مثل عمري كنا زملاء بالجامعة ندرس العمارة و التصميم كانت تهوى الرسم و الموسيقى

كانت فتاة لا تشبه مثيلاتها طموحة و ذكية ترغب في التحليق نحو السماء و كنت أنا جناحيها كما كانت تلقبني .

تزوجنا في عمر الثانية و العشرون رغم رفض عائلتينا بسبب صِغر عمرنا إلا إننا تزوجنا و كنا أسعد شخصين على وجه

الأرض .

نعمل بشغف و نمارس حياتنا وهوايتنا و كل ما نحب بذات الشغف .. شغف الحب ، كنا كل ليلة نتراقص على أصوات موسيقانا المفضلة و نبكي على فراق أبطال رواية شارفت على الإنتهاء .

كنا مثال رائع للزواج السعيد ، حتى آتى ما يمكنه جعلنا أسعد ذلك الخبر الرائع الذي يُخبرنا بزيادة عدد أفراد أسرتنا الصغيرة و المُحبة .

كان خبر حمل روزا أسعد ما سمعناه ، حلم الأبوة و الأمومة كان حلمنا الأكبر دائمًا ما تمنينا أن نرزق بالكثير من الأطفال في عمرٍ صغيرة لنكن لهم الوالدين و الأصدقاء و الأخوة .

إعتنت روزا بملاكها جيداً ، تفرغت للإهتمام بحملها و بي حتى يصل ملاكنا إلى أحضاننا بسلام .

كانت الأيام تمر بسرعة شديدة و كأنها تعلم لهفتنا في حمل صغيرنا بين أحضاننا ، كل ليلة كانت روزا تُغني بصوتٍ هادئ لملاكها حتى تغط في النوم ، دائماً ما لقبته بالملاك ملاكنا الصغير لنصل لليوم الذي قلب حياتنا رأساً على عقب .. يوم وصول ملاكي .....

غيمة

أنا غيمة .. غريب أليس كذلك ! و لكني أعشقه أعشق الاسم الذي إختاره لي والدي الحبيب فكان دائماً ما يخبرني أن اسمى يحمل معنى الخير .

فهى غيمة نلجأ إليها في فصل الصيف نحتمي بظلها ، و نرجوها في الشتاء أن تهطل علينا مطراً.

أنا في السادسة و العشرون عازفة بيانو أو سابقاً

طوال حياتي كان والداي و البيانو هم كل ما أملك ، أنا خجولة بعض الشئ و شغوفة للغاية لذا لا أملك الكثير من المعارف و الأصدقاء .

كانت حياتي هادئة و هانئة أقيم حفلاتي و استمتع بأصوات تصفيق الجمهور المحبب لي أحظى بحب أمي و إهتمام أبي البالغ بي .

فدائماً كنت طفلتهم الصغيرة و المدللة ، كان يُلقبني أبي بالملاك لما تحمله ملامحي من رقة و نعومة كنت رقيقة برقة معزوفاتي للبيانو .

ولكن تلك السعادة لم تستمر للنهاية بل تغيرت حياتي و إنقلب وضعي في ليلةٍ واحدة .....

ليل

أقتن أنا و ابني سام في شقة صغيرة و دافئة مثل قلب ملاكي ، لقد هاجرت و تركت وطني لأسكن بتلك المدينة الصغيرة بإحدى الدول ، برغم صِغر المدينة و برودة طقسها إلا انها كانت رائعة كانت تحمل في طياتها دفئ رائع .

حتى جيراننا كانوا رائعين رغم إختلاف ثقافتنا و لغاتنا و لكننا نتجانس بشكلٍ رائع

تتسائلون أين أنا أليس كذلك ؟

لن أخبركم بمدينتنا فأنا بطبعي أناني أخبئ ما أحب لذا سوف أحتفظ بكل ما أحب سراً داخل قلبي و لكن لا يوجد مانع بمشاركتكم القليل منه ..

يومي قليل الأحداث فقط أتمشى قليلاً بالصباح أنا و سام في الحديقة القريبة من الحي الخاص بنا و نعود نقضي باقي اليوم بالرسم و التلوين و مشاهدة الرسوم المتحركة المفضلة لملاكي الصغير ، نلعب و نلهو نتناول طعامنا فـ أنا في أجازة من عملي منذ فترة و وقتي كله مع فتاي الصغير ، و ينتهي اليوم بنوم سام و لكن بالنسبة لي ينتهي يومي بالبكاء و النحيب حتى أفقد وعي من الإرهاق .

غيمة

إنتقلت إلى تلك المدينة البعيدة منذ عدة أشهر ، وقع إختياري عليها لسببين الأول بُعدها عن مدينتي التي أقيم فيها و قضيت فيها عمري بأكمله ، و السبب الثاني هو طول فصل الشتاء هُناك و بردوة الجو نسبياً طوال العام .

فـ أنا من عشاق فصل الشتاء ، إرتشاف الشكولا الساخنة أمام النافذة و مراقبة قطرات المطر مضاف إليها في الخلفية معزوفتي المفضلة معزوفة " نكتورن " لشوبان ، يا إلهي هذا جل ما اتمناه حقاً .

كانت مجازفة اجل و لكن مجازفة ممتعة مدينة يفصلني عنها نصف الكرة الأرضية تختلف في مَناخها و لغتها عني تماماً و لكن هذا هو المطلوب .

أحيا حياة هادئة للغاية أقتن بشقة صغيرة في حيٍ هادئ يطل على حديقة يستخدمها سكان الحي للتنزه و الأطفال في اللعب و اللهو .

يومي قليل الأحداث معظم الوقت أقضيه داخل شقتي أراقب

المارة أو الغيوم و ندفات الثلج فهى تُثلج كثيراً هنا ، و لكن في بعض الأيام عندما أكون نشيطة بما يكفي أذهب للتنزه قليلاً في الحديقة و مراقبة الأطفال فضجيجهم يُشعرني إني مازلت على قيد الحياة .

غالباً ما أتناول إفطاري أو عشائي في المقهى القريب مني يفصلني عنه مسافة خمسة عشر دقيقة سيراً على الأقدام ، هو مقهى لطيف بمجرد دخوله تشعر بالدفئ يسري في قلبك ، رائحة القهوة و المخبوزات الطازجة تداعب أنفي و تبدو لي كمواساة عن برودة قلبي و مشاعري .

أتناول قهوتي المفضلة إلى جانبها الكرواسون المحشو بالشكولا الطازج و الساخن ، المقهى فقط يقدم بعض المشروبات الساخنة و العصائر إلى جانب المخبوزات الشهية و الكعك الذي تصنعه زوجة صاحب المقهى و هي بالمصادفة أول صديقة لي هنا هى و زوجها .

ليلاً أشاهد أحد أفلامي المفضلة أو استمع إلى الموسيقى و أعتني بزهوري المنتشرة في تلك الشقة الصغيرة و عند النوم أبكي قهراً حتى يغلبني النُعاس دون أن أشعر .

ليل

إستيقظت في وقت لا أعلمه على قبلات صغيرة تُغرق وجهي حباً ، سام كعادة له إكتسبها منذ الصغر يُغرقني بقبلاته اللطيفة كلما إستيقظ قبلي ، كنت مرهقً للغاية و ربما إستغرقت في النوم .

بابا إستيقظ بابا إستيقظ ، رددها ملاكي حتى تأكد من إستيقاظي تماماً لأحمله خارج الغرفة و هو يمرح فوق ذراعي هو طفل نشيط للغاية .

- بابا أرغب باللعب في الحديقة

طلب مني بصوته الصغير و كلماته الشبه واضحة لصغر سنه .

آسف ملاكي بابا مُتعب اليوم ، عبس قليلاً و أحنى وجهه للأسفل ، اه إلهي لا أستطيع رؤية هذا العبوس .

إذاً ما رأيك بإفطار في الخارج في ذلك المقهى القريب؟

- موافق أرغب في عصير الفراولة .

حسناً صغيري لنبدل ثيابنا و نذهب ، تحركنا إلى المقهى و الطريق لم يخلو من مشاكسات سام و ضحكاته التي تُشفي آلم قلبي فلولا وجوده لم أكن هنا الآن بل لم أكن على قيد الحياة .

المسافة بين شقتنا و المقهى بسيطة أقل من عشرة دقائق ربما ، الثلج يهطل بغزارة و كنت أُسرع من خطواتي أحمل سام حتى لا يَبرد جسده الصغير .

وصلنا أخيراً للمكان المنشود لتتسع إبتسامة ملاكي فهو يعشق كعك البرتقال الذي تصنعه زوجة صاحب المقهى ، هو مقهى لطيف بسيط الطراز جميع رواده من سكان الحي .

بمجرد دخولي رأيتها تجلس بسكون في أحد الأركان جانب النافذة الكبيرة بيدها كتاب ما و تحتسي القهوة ، تلتحف بوشاحها الأحمر كما المرة الأولى .

اه يا إلهي هي حقاً تشبه الملائكة ببشرتها الشاحبة و أنفها

المحمر إثر البرد تشبه سام كثيراً .

وضعت سام بمقعده بصعوبة فهو يصبح كثير الحركة عندما يتحمس ليهرول لنا صاحب المقهى يحمل سام و يعطيه عناقاً حاراً فهم رفاق كما يقول السيد كلاريس .

ـ طلبك المعتاد سيدي الصغير ؟

سأل بطريقته المعتادة ليقهقه سام و يجاوبه بصوت متحمس .. **اجل عصير الفراولة و كعك البرتقال و بعضٌ من مربى المشمش** .

حرّكت رأسي بيأس فابني صاخب كالعادة و كل تلك السكريات تُزيده صخباً و حركة .

حسناً سيد كلاريس أود بعض القهوة السوداء أيضاً و معجنات الجُبن من فضلك ، ابتسم لي السيد كلاريس و ذهب ليحضر طلبنا و سام المتحمس كالعادة ينظر هنا و هناك يلوح للسيدة آرييتا زوجة السيد كلاريس فنحن زبائنهم منذ قدومنا إلى هنا منذ ثلاثة أعوام .

و في لحظة وجدت سام يبتسم بخجل شديد كعادته عندما يلتقي بشخص لا يعرفه من قبل ، و حينها إلتقط عيناي بها الملاك

ذات الوشاح الأحمر كما في الحكايا الخرافية ..

كانت متمسكة بكتابها تنظر نحو سام بابتسامة كبيرة و عندما نظرت لها أحنت رأسها لي في تحية و عادت للقراءة .

تلك المرة كانت أول مرة تتصادف نظراتنا و لكنها لن تكون الأخيرة .....

غيمة

كنت في مقهى السيد كلاريس أحتسي القهوة رفقة كتاب ما في الصباح كعادة محببة إلى قلبي ، أجلس في ركنٍ ما بجوار النافذة حتى أراقب تساقط الثلوج و المارة بالشارع ، كنت شاردة بالقراءة عندما سمعت الجرس المعلق على باب المقهى يُصدر صوتاً دليل على دخول بعض الزبائن كالعادة لم يلفت إنتباهي صوت الجرس فدخول أحد الزبائن لا يعنيني في شئ و لكن ما لفت إنتباهى كانت قهقهات صغيرة تصدر بمرح .

رفعت عيناي عن كتابي أنظر نحو الصوت لأجد ملاكاً صغيراً بين أحضان السيد كلاريس ، يبدو أنهم مقربين منه كان يجلس بجوار شاب لا يبدو كبيراً في السن ربما هو والده .

كان الطفل متحمس للغاية و يوزع إبتساماته بالمكان مما لفت إنتباهي أكثر و أكثر ، إلهي يبدو كالملائكة صغير و ذو

ملامح لطيفة و أنفٍ محمر يتلمس الطاولة بأنامله الصغيرة و كأنه ينتظر شئ ما في لهفة شديدة .

لم أشعر بشرودي و تركيزي مع تحركاته حتى وجدته يبتسم نحوي بخجل ، حينها التقط عيناي بعين الشاب بجواره للحظة شعرت بالإحراج فـ أنا كنت أنظر لطفله بتركيز شديد ربما هو يعتقدني الآن قاتلة متسلسلة ربما أو مختلة ما .

حييته بإماءة بسيطة و عدت لكتابي و قهوتي و لكن تركيزي بقى مع ذلك الملاك و والده هو بالتأكيد والده هو يشبهه بعض الشئ .

أعتقد هم من سكان المدينة نظراً للعلاقة الوثيقة مع صاحب المقهى ، تلك كانت المرة الأولى لي أرى بها هذا الملاك الصغير و الذي يُشبهني كثيراً لا أعلم كيف ربما هو مجرد شعور فقط و لكن على أي حال اتمنى ألا تكون المرة الأخيرة .

ليل

تناول سام كعكته بنهم و تلذذ بالعصير و أنا تائه وسط همهماته السعيدة و الإبتسامة التي تتسع مع كل قضمة ، طفلي حقاً يعشق الكعك .

كعك العمة آري كما يُلقبها هى من طلبت ذلك بسبب صعوبة اسمها على صغيري .

مرت حوالي نِصف ساعة يتناول صغيري طعامه و أنا أرتشف قهوتي و الملاك المقابل لنا المتشح بالأحمر غارق بين صفحات كتابه .

كنت ألاحظها بين الفينة و الآخرى تنظر نحو سام نظرات خاطفة تبتسم بصغر تراقبه أثناء تناوله لما أمامه ، لم أشعر بلإزعاج على الإطلاق فصغيري اللطيف كل من يراه يقع في حبه

ربما ورث تلك الصفة الرائعة من والدته .

إستقامت أعتقد أنها إنتهت و ستذهب الآن ، في طريقها حيتنا

بخفوت و ابتسامة لطيفة ألقت بها نحو سام أعتقد إنها أتت مؤخراً لتلك المدينة فـأنا لم أرها من قبل ، إنتهينا أنا و سام و عدنا للمنزل .

مرت عدة أيام إشتدت بها الثلوج و لم نغادر منزلنا فـأنا أخشى على ملاكي أن يصيبه المرض مازال صغيراً للغاية و مناعته ليست قوية .

هدأت الثلوج قليلاً و سطعت الشمس على استحياء خلف الغيوم بعد أيام الصقيع لذلك قررنا أنا و سام الخروج قليلاً و تناول الإفطار بالخارج في مقهانا المفضل .

طوال الطريق كنت أفكر في الملاك ذو الوشاح الأحمر لا أعلم لما ؟!

و لكني كنت اتمنى مصادفتها كـالمرة السابقة و لكن مع الآسف لم تتحقق أمنيتي .

مررنا بالحديقة في طريق عودتنا و أثناء بحثي بعيناي هنا و هناك وجدتها تجلس بشرود كالمرة الأولى تنظر للفراغ بذات النظرة الفارغة .

لم ترانا و ذهبنا نحن في طريقنا للمنزل ، لم تتكرر الصدف في الأيام التالية أيضاً و لم نرها في الأماكن المعتادة .....

غيمة

هدأت الثلوج و تحسن الجو شيئاً فشئ فقد كنت حبيسة شقتي لعدة أيام بسبب الطقس ، لأعود لنزهاتي الصغيرة و مغامراتي في مقهاي المفضل مرة آخرى و لكن مع الآسف لم أصادف الملاك الصغير مرة آخرى كنت اتمنى رؤيته بشدة ، لا أعلم لما شعرت بالإنجذاب الشديد نحوه ربما بسبب لطافته الزائدة و تلك الهالة المميزة التي يمتلكها و تُجبرك على الوقوع له .

كنت أجلس بتململ في شقتي مساءً حتى قررت صُنع كعكة والدتي المفضلة " كعكة التوت الأزرق " و الذهاب في نزهة قصيرة إلى الحديقة .

لست بارعة في الطهو و لكنني أجيد صنع الكعك ، ربما ورثت تلك الصفة من والدتي الحبيبة . ربما الحديقة مظلمة الآن و لا يوجد بها أحد فالساعة تجاوزت السابعة و الجو بارد و لكن ربما الهواء يُنعشني قليلاً فأنا أعاني من حالة

نفسية سيئة منذ أيام .

أخدت الكعك و الشاي وذهبت للحديقة التي كانت خالية بالفعل كما توقعت ، جلست على مقعدي الدائم أحتسي بعض الشاى لعله يُدفئ أطرافي قليلاً و أتلذذ بكعكتي بينما أنظر هنا و هناك إلى إن آتاني صوت قهقهات صغيرة و التي بالمصادفة كانت عند مدخل الحديقة و المصادفة الأكبر صاحب الصوت .. إنه الملاك الصغير من المقهى مع والده ، يبدو أن هناك من أصابه الملل مثلي أيضاً و قرر اللعب قليلاً .

إقتربوا مني و يبدو أنهم لم يلاحظوني بعد بالطبع من المفترض خلو المكان في مثل هذا الوقت و الطقس

اوه أخيراً رأني .....

ليل

سام أصابه الملل من المنزل فهو محق هو حبيس تلك الشقة منذ أيام ، أراه يرسم في كتابه الخاص وكفه الصغير يسند رأسه يتأفف كل دقيقة و آخرى اه ملاكي مصاب بالملل و لكن لا يعرف كيف يخبرني بذلك .

لذا قررت أخذه في نزهة ليلية صغيرة تُخفف عنه هذا الملل و ربما الهواء الطلق يُسعده قليلاً

إرتدى صغيري معطفه و كل ما يمكن أن يَقيه من هذا البرد و ذهبنا للحديقة و التي لابد أن تكون فارغة بمثل هذا الوقت فـأغلب روادها من الأطفال الصغار و لا صغار في الخارج الآن .

وصلنا وسط قهقهات ملاكي و قفزاته السعيدة كنت أحمله عالياً لتُطرب ضحكاته مسامعي ، و لكن عيناي إلتقطت ما

فاجئني ..

الملاك ذات الوشاح الأحمر ، تفاجئت لوجودها هنا في مثل هذا الوقت و أعتقد ربما هى تفاجئت أيضاً و لكن ما صدمني بحق هى ابتسامتها الواسعة نحونا أو نحو سام بالأخص .

غيمة

لا أعلم لما رفرف قلبي عند رؤيتهم و كأن وجودهم في ذلك الوقت بالأخص كان أنيس لوحدتي في ذلك الجو البارد .

لم أعي لنفسي غير و أنا مبتسمة بإتساع ربما إبتسامة لم تظهر منذ فترة طويلة للغاية ، ابتسم لي الأب يبادلني ذات الإبتسامة بينما الملاك خجل بشكل واضح ليدفن وجهه في عنق والده إلهي هو لطيف للغاية .

رأيت الوالد يُخبر الطفل بكلمات لا أسمعها بالطبع فأنا بعيدة عنهم بعض الشئ و لكني ربما فهمت ما يدور حين أنزَل الأب طفله و وجدت الطفل يسير نحوي في خطوات خجلة صغيرة تناسب تلك السيقان القصيرة .

كلما إقترب خطوة كلما زاد توتري و تسارعت ضربات قلبي لا أعلم لما و لكني توترت تلك الثواني التي قضاها بالوصول لي إنقضت كالدهر ، انا أتصبب عرقاً في هذا البرد

إقترب مني بابتسامة رائعة ليحدثني بخجل واضح على وجهه

- مرحباً انا سام أترغبين في اللعب معي أنا و بابا ؟

اوه يا إلهى لقد عُقد لساني لم أستطع الرد عليه ربما بسبب تفاجئي بطلبه ، ظلّ ينظر لي بذات الإبتسامة ينتظر ردي و لم يكن مني سوى مصافحته .. نعم أنا خرقاء قليلاً بل كثيراً ..

مرحباً سام أنا غيمة و نعم يُسعدني اللعب معك كثيراً .

إبتهج وجه الملاك الصغير و زادت حيويته ليركض نحو والده يخبره بموافقتي

تَقدم نحوي والده ليتعرف علي ربما

- مرحباً سيدتي أعتذر عن إزعاجك أنا ليل والد سام .

حييته بابتسامة ، لأنفي برأسي لم يزعجني ابداً هو فقط طلب مني اللعب و أنا وافقت أرجو ألا يكون وجودي يسبب لك الإزعاج .

اه أعتذر تفضل بالجلوس .. أنا غيمة .

- يبدو أنه أصابكِ الملل مثلي أنا و هذا المشاكس .

قالها لينتحب سام خجلاً ، نعم لذا قررت القدوم و الجلوس هنا قليلاً في الهواء .

- إذاً هل قاطعنا تلك الجلسة ؟

لا .. ابداً على العكس تماماً

سام أترغب في تناول الكعك لقد صنعته بنفسي

نظر الطفل لوالده يطلب منه الموافقة أولاً ليبعثر الوالد شعر طفله بحنية بالغة يُخبره إنه لا بأس بقبول الكعك .

إبتسمت بخفة لتلك العلاقة اللطيفة التي تجمعهما فهما يذكراني بطفولتي كثيراً

أردفت أخبره بأنها كعكة التوت الأزرق لألاقي نظرات مستفهمة من سام يبدو لا يفهم ما أقوله

نظر لي والده ليخبرني هو لم يجرب التوت من قبل لذلك لا يعرف هذا النوع من الكعك .

حسناً سام ما رأيك بقطعة صغيرة ربما تنال إعجابك فالتوت الأزرق فاكهة لذيذة للغاية

أومأ لي بحماس و أمديته بقطعة صغيرة ليجربها و قدمت طبقي للأب .

أعتذر لم احضر معي سوى طبق واحد و كوب واحد أيضاً ، كنت أود بتقديم بعض الشاي بجانب الكعك كنت أحادث السيد

ليل و الذي نفى بابتسامة مجاملة .

- لا بأس يكفيني قطعة كعك شكراً لكِ .

أنهى حديثه ليقفز سام مبتهجاً يبدو أن الكعكة نالت إستحسانه

- سيدة غيمة إنها لذيذة للغاية هى ألذ من كعكة العمة آري ، هل يمكنني تناول المزيد ؟

كان يتحدث بتلعثم قليل نظرًا لصِغر عمره .

طلب بعين لامعة

- اه سام لو سَمعتك العمة آري ستحزن يا صغيري .

ليعبس الصغير قليلاً

حسناً عزيزي تفضل و تناول كل ما ترغب و لكن لا تُكثر حتى لا تؤلمك معدتك ، أخبرته أنا بينما أُقرب له الكعك ، كما يمكنك مناداتي غيمة بدون ألقاب مممم أعتقد اسمي صعب عليك قليلاً .

إذاً ماذا يمكنك مناداتي ؟

صرخ سام بعلو قائلاً **ميمي** ليذوب قلبي سعادة فلم يسبق لأحدهم بمناداتي باسم محبب أو أي كنية سوى غيمة

تحمحم الوالد محرجاً ..

كان سينهر ابنه ربما و لكني قاطعت تفكيره بتقبيلي لكف الصغير بسعادة ، إذاً من اليوم أنا ميمي و أنت عزيزي سام .

مرّت نصف ساعة ربما إنهمك بها سام في الحديث يخبرني عن أصدقائه و ألعابه بينما يتناول الكعك فهو طفل لطيف يعتاد الأشخاص بسهولة .

و لكن المطر بدأ في الإنهمار فجأة ليقطع علينا هذه المحادثة اللطيفة

إستأذن الأب بالعودة فالصغير قد يمرض إذا تبلل ، طلب توصيلي و لكني نفيت فالمنزل قريب .

إفترقنا في تلك الليلة و التي كانت مميزة بالنسبة لي ، ربما لا أعلم من هم ولا أي شئ عنهما سوى اسماءهم و لكني موقنة أنهم أسرة لطيفة أتمنى مصادفتها مجدداً .....

ليل

لا أصدق إني تعرفت على ملاك الوشاح الأحمر ، تدعى غيمة و تتحدث اللغة المحلية لأهل تلك البلدة و لكني واثق أنها ليست من سكانها فلكنتها مختلفة كثيراً .

تُذكرني بنفسي في البداية حينما إنتقلت إلى هنا ، تبدو لطيفة للغاية و يبدو أنها معجبة بسام كثيراً لدرجة أن يناديها ميمي و توافق هى بصدر رحب ، أخبرتكم ابني كل من يراه يقع له ملاكي الصغير رائع .

حسناً لم أعرف عنها أي معلومة سوى اسمها و أنها تقتن بالقرب من الحديقة فنحن نعتبر جيراناً نقتن ذات الحي .

أمطرت السماء و قطعت علينا نزهتنا و إضطررنا للعودة سريعاً و لكن و من حسن حظي لم يتذمر سام فهو يملك الآن ما يثرثر به لمدة أسبوع على الأقل ، فهو لم يوقف حديثه عن ميمي الجميلة كما يُلقبها و كعكة التوت الساخنة و الشهية .. ابني حقاً لطيف للغاية .

و أخيراً توقف عن الثرثرة و سقط نائماً في أحضاني .....

غيمة

عدت إلى شقتي سريعاً هرباً من المطر و لكني سعيدة للغاية رغم ذلك لقد تعرفت على الملاك الصغير أخيراً ، أعتقد منذ الآن سوف يُصبح لي رفقة في تلك المدينة .

ربما أتعرف على والدته أيضاً و نصبح أصدقاء ، على ذِكر والدته لما لم أرها معهم من قبل ؟!

ربما منشغلة بعمل ما أو لديها رضيع تعتني به .

إلهي مجرد تخيل نسخة رضيعة من سام مبهج للغاية ، ربما لا أعلم عنهم شئ و لكنهم أسرة لطيفة للغاية .

في صباح اليوم التالي كانت الشمس دافئة على غير عادتها في تلك المدينة مما أتاح لي فرصة لطيفة لتناول إفطاري بمقهى السيد كلاريس .

كنت أحتسي قهوتي الصباحية و معجنات إفطاري بذهن شارد

في الركن المحبب لي في ذلك المقهى حتى تخلل مسامعي رنين الجرس أعلى باب المقهى ...

لا أعلم لما للمرة الأولى كنت في لهفة لمعرفة من القادم و الآن فقط عرفت لما .. !

لقد كان الملاك الصغير و والده ، كالعادة الصغير متمسك بوالده و الإبتسامة المشرقة على شفتاه تزيده ملائكية .

ابتسمت لهما بوسع كمختلة ما و لكن رد فعلهم فاجئني بشدة حينما صرخ سام بـاسمي و أسرع تجاهي يعانقني و كأننا معارف منذ الولادة .

تَقدم والده بخطىً هادئة

- صباح الخير سيدة غيمة .

صباح الخير سيد ليل ، لم أعتقد أننا سنتصادف هنا بالصباح

- اوه هل هى صدفة سيئة ؟

تسائل و لازال مبتسماً

اوه كلا البتة إنها لصدفة رائعة نفيت بعنف ، إلى متى سأظل متسرعة أُخرج كلماتي بلا تفكير

- إذاً ؟؟

تسائل هو

اوه تفضلا لنتناول اللإفطار معاً .. أعتذر أنا خرقاء قليلاً

- ميمي أنتِ رائعة تفوه بها سام و لا أعلم لما !

تقدم إلينا السيد كلاريس ليحدثهما فيبدو أنهما مقربان بالفعل كما إعتقدت سابقاً .

- مرحبا عزيزي سام و سيد ليل هل تعرفتما بالآنسة غيمة ؟

أومأ الأب بلطف .

- حسناً هل أحضر طلبكما المعتاد ؟

همس سام لوالده ليقهقه الوالد مما زاد فضولي ، أرغب بمعرفة ما يدور .

- سيد كلاريس سام يطلب كعكة التوت الأزرق هذه المرة بدلاً عن البرتقال .

- يبدو أن عزيزنا سام قرر أخيراً تجربة شئ مختلف .

ضحك الأب لينظر لي و كأنه يُخبرني الفضل لكِ في ذلك .

جلسنا في صمت مُحرج فـأنا بطبيعتي لست ثرثارة ابداً كما أننا لا تربط بيننا تلك العلاقة التي تُشجع على الحديث ، إستمر هذا الصمت ليكسره سام عند تناوله أول قضمة من الكعك .

كان تركيزي أنا و والده مُنصب نحوه بشكل غريب ليعبس سام فجأة و ينظر نحوي بإستعجاب و يهمس ...

- كعكة ميمي ألذ .. العمة آري بارعة في كعكة البرتقال و لكن التوت إنها سيئة .

إقترب من والده ليكمل بذات الهمس **لا تخبرها بابا حتى لا تحزن العمة آري** ، ضحكنا جميعاً على همسه و مراعاته لمشاعر السيدة آرييا .

ليل

إستيقظنا في الصباح بنشاط مفرط أنا و سام ربما هذا تأثير تلك النزهة القصيرة علينا لنقرر الخروج لمقهى السيد كلاريس .

في طريقنا للمقهى كان يدور في بالي لقاء أمس و الصدفة الغريبة التي جمعتنا بذات الوشاح الأحمر دلفنا إلى المقهى لتتجه أنظاري بشكل تلقائي إلى ذلك الركن بجوار النافذة لأجدها تبتسم لنا بوسع و ما كان من سام سوى الركض نحوها و معانقتها بشدة ، سام حقاً معجب بها فهى تبدو لطيفة و حنونة .

تُرى هل تسكن هنا بمفردها ؟؟

أرغب في معرفة هذا و بشدة لربما لديها زوج نترافق أنا و هو و نصبح أصدقاء جميعاً ، و لكن السيد كلاريس هدم تلك الفكرة بمناداتها بالآنسة غيمة ..

إذاً فهى وحيدة كما توقعت أولاً نظراتها في الحديقة توحي بذلك ، طلبت منا الجلوس معها و فعلنا بالطبع .

كان الصمت سيد المكان لا يصدر لنا صوت سوى همهمات سام و حديثه القليل و الخافت .

غيمة

أصبح الصمت محرج بعض الشئ لأتحمحم و أقرر الحديث أخيراً و الذي كانت الفعلة الأشد ندماً بالنسبة لي .....

سيد ليل تبدو مقرب من السيد كلاريس هل أنتما صديقان ؟

- نحن لسنا مقربان للغاية و لكنه أول شخص تعرفت عليه عند مجيئي إلى هنا لذلك تربطنا علاقة ودية معه هو و السيدة آرييننا .

همهمت متفهمة ، إذاً أنتم لستم من سكان المدينة ؟

- نعم نحن من دولة آخرى و انتقلنا إلى هنا منذ ثلاثة سنوات .

تفاجئت للغاية فهذا لم يكن متوقع بالنسبة لي لأتابع حديثي مخبرة إياه إنني أيضاً انتقلت إلى هنا حديثاً منذ بضعة أشهر فقط .

- توقعت ذلك فلكنتك لا تشابه لكنة السكان الأصليين هى تذكرني بذاتي في بداية إنتقالي .

هل يُمكنني سؤالك عن شئ يثير فضولي بعض الشئ ؟

- بالطبع تفضلي

لما دائماً أنت برفقة سام وحدكم هل والدته لا تحبذ الخروج كثيراً ؟

فـأنا اتمنى مقابلتها و شكرها على هذا الملاك الصغير ، تجهمت ملامح الشاب أمامي و شحب وجهه ليجاوب سام سؤالي بعفوية شديدة

- ماما في السماء لقد تحولت إلى ملاك حارس ليحرسنا أنا و بابا .

تجمدت أطرافي إحراجاً مما فعلت لم يكن علي التطفل عليهم بهذا الشكل ، اع- أعتذر سيد ليل لم أكن أعلم ، تعثرت

بكلماتي بشدة مما أقدمت على فعله من سؤال متهور .

لم أجد أي رد منه ، هو فقط إستقام حاملاً ابنه ليودعني بجمود شديد و يغادر المقهى و أنا بالفعل أُلجم لساني و عقلي لا أعرف كيف أتصرف ؟

ليل

كسرت الأنسة غيمة الصمت الذي طال بيننا لتسأل بعفوية عن والدة سام ، لم أعلم بما أُجيبها حقاً فذلك السؤال ضرب وتراً حساس بالنسبة لي .

عقلي وقف عن العمل للحظات .. لأسمع إجابة سام عن والدته و التي جعلت قلبي يحترق على حبيبتي الراحلة .

غادرت المكان بهدوء يُعاكس تلك العاصفة المحترقة بداخلي كان تصرفاً فظاً مني أنا أعلم و لكني لم أستطع التفكير أو حتى إدارة الأمر ، حملت ابني و عدت راكضاً إلى منزلي .

سام عزيزي تابع برنامجك المفضل و أنا سأنام قليلاً ، طلبت من سام الجلوس بأخر ذرة ثبات أمتلكها .

دخلت غرفتي و أوصدت الباب كيلا يدخل سام و إنهرت باكياً ، بكل مرة سوف يذكر أحدهم روزا سوف أنهار كيوم فقدتها ، برغم مرور الكثير و برغم محاولاتي إلا إنني لازلت

ضعيف أبكي قهراً و آلما لفقدانها .

ظللت أبكي لمدة طويلة حتى سقطت نائماً دون شعور ، إستيقظت و قد حل المساء إلهي كم أنا أب سئ .. !

الغرفة مغلقة و سام وحده تلك الفترة الطويلة ، هرعت خارج غرفتي لأجد سام متكور على الأريكة نائم يحتضن قدميه لصدره بينما التلفاز يعمل و هناك آثر للدموع الجافة على وجهه .

أي أب يترك ابنه الصغير تلك المدة دون طعام أو سؤال أباك آسف صغيري ، حاولت إيقاظه بهدوء رمش قليلاً لتلتوي شفتاه و ينفجر في البكاء بينما يتعلق بي .

- بابا لقد طرقت الباب كثيراً و لكنك لم تجاوبني ابداً لقد كنت جائع و أشعر بالبرد ، خشيت أن تكون ذهبت إلى ماما و تركتني وحيد .

كان يتحدث بين شهقاته باكياً بحرقة

آسف صغيري لقد غفوت و لم أسمعك بابا آسف بابا سئ ....

هدأ أخيراً لأعد له بعض الطعام و ادفئه جيداً ليغفو في سريره ، لقد سببت الآلم و الخوف لملاكي الصغير قلبي يحترق حقاً و لا أعلم كيف أتصرف ؟؟

غيمة

عُدت إلى منزلي و في رأسي يدور الكثير و الكثير يبدو إني أخطأت حقاً بسؤالي و لكن رد فعله كان غريب للغاية .. يجب علي الإعتذار إليه .

اه لساني هذا دائماً ما يتفوه بالحماقات ، قضيت يومي بذهن مضطرب و كل ما يدور ببالي ما حدث بالصباح و الذي فتح جُرح قلبي النازف أيضاً ، لم أتناول عشائي فقد قفدت شهيتي جل ما أرغب به هو النوم النوم فقط ، ظللت حائرة في مضجعي لوقت متأخر لأسقط في ثبات عميق إثر إنهاكي عصبياً و نفسياً .

ليل

لم أنم طوال الليل بسبب تأنيبي لنفسي على ما فعلت بابني الصغير ، أصابني الدوار و الصداع بسبب البكاء الكثير و قلة الطعام فـأنا لم أتناول الطعام منذ الصبح الباكر .

تخطت الساعة الرابعة صباحاً لأسقط نائماً دون شعور ، إستيقظت باكراً الصداع ينهش دواخل رأسي عيناي متورمتان و وجهي منتفخ أشعر بالغثيان الشديد و الدوار جاهدت نفسي حتى أوقظ ملاكي و أطعمه طعاماً لائقاً يجب علّي مراضاته حتى لا تترك ليلة الأمس آثراً سلبياً عليه .

كان نائماً ببعثرة كالعادة يحتضن دمية الباندا خاصته فهى عزيزة جداً بالنسبة لكلينا ، ناديته بهمس حتى إستيقظ و عانقني بشدة و كأنه يحاول التأكد من وجودي و إني لستُ بـسراب ، ربتّ على ظهره قليلاً و تركت قبلة على وجنته حتى يطمئن و يفلتني .

تناولنا الإفطار في صمت فـأنا متعب للغاية كما أن سام يبدو

مُنهك أو خائف هو ربما يعتقد إنه أخطأ في شئٍ ما و كان إختفائي طيلة يوم أمس عقاب له لذا يأبى الحديث أو يخشاه ....

قررت أن ابدأ أنا ..

ما باله صغيري هادئ للغاية حاولت التحدث بنبرة حنونة حتى يتأكد إني لست غاضب منه ابداً

- بابا تبدو مُتعب لذا سام سوف يبقى صامت حتى لا تتركه كما الأمس .

اااه ابني أخيراً تفوه بما كنت أخشى

ملاكي أنا لم و لن أتركك ابداً أنا فقط غططت في النوم .

- و لكن بابا الغرفة كانت موصدة .

أعتذر ملاكي لن أكررها ثانيةً ، أنا فقط كنت مُتعب .

- ربما أنت مريض بابا

أعتقد ذلك صغيري ..

مرّ اليوم هادئ للغاية سام كان صامت أغلب الوقت حتى لا يزعجني كان فقط يلون في كُتيب رسوماته و أنا مستلقي على

الأريكة شارد الذهن .

في الأيام التالية كنت منهك بحق نفسياً و جسدياً حتى إنني طالبت بتمديد فترة أجازتي و لم أخطو خارج شقتي أحاول التشافي من أجل طفلي .

طفلي الذي بَهت كثيراً فهو لم يخرج منذ مدة طويلة و لم يلهو كما إعتاد ، فقد مرت بالفعل تسعة أيام منذ حادثة المقهى .

و في صباح اليوم العاشر قررت أن أنهي هذا الحداد فابني تأثر كثيراً عليه التنزه و اللعب قليلاً حتى لا يُصبه الإكتئاب كما والده .

و أيضاً يجب علّي التسوق فقد نفذت جميع الأطعمة بالمنزل ، عندما أخبرت سام بأننا أخيراً سوف نذهب للحديقة و البقالة تبدلت ملامحه العابسة بآخرى إبتسم بوسع و ركض إلى غرفته يختار الأجمل من بين ملابسه فهو كان حبيس لمدة كبيرة .

تسوقنا قليلاً و إشترينا جميع إحتياجات المنزل ، وضعت جميع الأغراض بالمطبخ سريعاً فـ سام مُتحمس للغاية و مبتهج بسبب ذهابه للحديقة هو يرغب بالطيران إليها حقاً

تمسكت بيده ليؤرجحها بسعادة و لكن إختفت بسمته عندما رأها .....

غيمة

لا أعلم كيف أتصرف أو أعتذر عن سؤالي و فضولي الأحمق نحو تلك الأسرة و الذي ربما أصابهم الحزن بسببي ، تشتت كثيراً لا أعلم كيفية التصرف إذا ما صادفتهم هل فقط أتجنبهم ام أعتذر و أهرب كطفلة صغيرة مذنبة ، من بعد تفكير كثير أدركت أن خطأي ليس بتلك الفداحة أنا فقط كُنت فضولية بعض الشئ أو هذا ما أخبرت به نفسي التي ألومها كثيراً .

فقط قررت صُنع كعكة التوت الأزرق و إنتظارهم في الحديقة لأعتذر و أقدمها لهم ساخنة و شهية علّها تَشفع لي ذلة لساني و إندفاعي .

أعددت الكعكة التي ملأت رائحتها منزلي الصغير لتُذكرني بأمي ، في ذلك الوقت شعرت بوجودها حولي تُربت على كتفي و كأنها تحثني على الإعتذار إليهم بالفعل .

إنتهيت من إعداد الشاي و الكعك و اتجهت إلى الحديقة كان

الوقت مازال باكراً و لا يوجد سوى طفلين أو ثلاثة مع أمهاتهم ، جلست في مكاني المعتاد أترصد بوابة الحديقة حتى أرى قدومهم .

كنت أنظر في لهفة أتنظر الملاك الصغير لأطعمه كعكتي ، مرت ساعة تليها ساعة و إزداد عدد الأسر بالحديقة و غادر البعض بالفعل فنحن في الظهيرة الآن و لم يظهر سام و والده .

تَيبست قدماي و آلمني عُنقي فـأنا على تلك الحال منذ عدة ساعات كما بردت الكعكة و الشاي ، ظللت في مكاني حتى تجاوزت الساعة الرابعة مساءً فقررت النهوض فالبرد أهلك عِظامي طوال تلك الساعات كما أنني لم أتناول الطعام منذ صباح أمس ، عُدت للمنزل أحمل كعكتي و أجر ذيول الخيبة و الحزن ، حاولت إبهاج نفسي فربما هم بمكان آخر أو قررا عدم الخروج اليوم بسبب برودة الطقس .

تناولت طعامي بذهن غائب و شهية مفقودة لأرمي بجسدي على الكرسي أمام الشرفة أتابع قطرات المطر في صمت ، حلّ المساء و ذهبت للنوم فـأنا مُتصلبة أمام شُرفتي منذ وقتٍ طويل .

في صباح اليوم التالي إستيقظت باكراً للغاية حتى أعد كعكة

التوت الأزرق ليأكلها سام طازجة ، كما أعددت بعضاً من شاي الأقحوان و عصير الفراولة المفضل لسام و ذهبت للحديقة أنتظر قدومهم .

و لكن كما الأمس مرت الساعات و لم يظهر أحد .....

في طريق عودتي قررت المرور بمقهى السيد كلاريس علّي أراهم هناك و لكن لا أحد بالداخل سوى الزبائن المعتادين ، جررت قدماي نحو المنزل و التي كانت تتحرك بثقل غريب كما قلبي .

إستمررت بصنع الكعك و الإنتظار كل يوم في تلك الحديقة و التي أصبحت مكان موحش بالنسبة لي ، فهناك مرارة تعتصر قلبي ضميري يقتلني يبدو أنني تسببت بأزمة لتلك الأسرة المُبتهجة

مرت تسعة أيام و أنا أنتظر بكعكتي و قلبي اليائس ، و في اليوم العاشر رأيتهم .....

ليل

تَسمّر سام في مكانه و سقطت بسمته ينظر نحو مكان أُدركه جيداً ، ذلك المقعد الذي تجلس عليه غيمة في العادة ، حينها أدركت أن ابني يعتقد أنها السبب في ما حدث على مدار التسعة أيام السابقة هو ذكي للغاية رغم صغر عمره فقد ربط الأحداث جميعها ببعض منذ خروجنا بهذا الشكل من المقهى .

كانت تنظر إلينا بنظرات لهفة و خجل طاغي ، عيناها حزينتان و التردد واضح على ملامحها ، أعتقد هى كانت بإنتظارنا يبدو ذلك .

سام كان ينظر نحوي بتردد و أنا أيضًا أقف كالصنم لساني عاجز عن نطق أي كلمة ، هى لم يكن لها ذنب بما حدث ابداً أنا فقط مازال جُرحي غير ملتئم مازال ينزف و يُخدش لمجرد ذكرى و لو عابرة لـروزا حبيبتي الغالية .

مرت اللحظات كالدهر و ثلاثتنا ننظر لبعضنا البعض نظرات غير مفهومة البتة ، لا أعلم هل هى نظرات عتاب أو لوم ربما فقط نظرات تَعكس ذلك الحزن في دواخلنا و لكني قررت كسر تِلك النظرات بحديثي نحو سام ...

سام عزيزي أترغب في إلقاء التحية على الآنسة غيمة ؟

رمش سام قليلاً يبدو مضطرب لا يعلم كيف يُجيب رغم بساطة السؤال ، حينها قررت التدخل فالوضع أصبح مُحرج و أكاد اجزم أن لو لقلبها صوتٌ و صدى لسمِعنا صوت تألمها من مكاننا فقد إنعكس كل شئ على وجهها .

هيا صغيري إذهب فهى بإنتظارك على ما يبدو .

- و لكن بابا ....

ماذا صغيري إذهب إليها فهى تُحبك كثيراً لا تقلق على بابا .

تحرك سام ببطئ يتلفت بين خطوة و خطوة للخلف ينظر نحوي و كنت أحثه على السير بنظراتي و في المقابل تلك الآنسة اللطيفة إستقامت تنتظر وصوله .

كنت خلفه أبعد عنه عدة خطوات لأرى ذلك الحماس و تلك اللهفة الكبيرة في عينيها حتى وصلها سام هى فقط ابتسمت بوسع و لو لم تكن تخشاني على ما أعتقد كانت عانقته بشدة .

حياها سام برسمية شديدة و هى فقط تَنظر له حتى وصلت أنا أُلقي عليها التحية بابتسامة علّها تطمئن أنها لم تُسبب مشكلة

فيبدو أنها تلوم نفسها كثيراً .....

غيمة

قلبي زادت ضرباته لمجرد رؤيتهم من بعيد ، تيبست بمكاني و إنعقد لساني

لا أعلم كيف أتصرف ؟!

هم ينظرون نحوي و أنظر لهم دون أي حديث أو ردة فعل و بعد دقائق مرت على قلبي أعوام تحرك الملاك الصغير يتبعه والده ، هو بالتأكيد مُتجه لي ...

توترت .. توترت للغاية لدرجة إني نسيت كيفية التحدث نسيت كل الإعتذارات و الجمل المنمقة التي تدربت عليها سابقاً ، لم أُدرك كيف إستقمت من مكاني أو كيف تمزقت شفتاي تبسماً بوسع نحو سام .

مُشتتة أنا للغاية مُشتتة و مُضطربة أشعر بمشاعر غريبة لا أعلم ماهيتها و لكنها كالثقل على قلبي الضعيف .

حيّاني سام بخفوت

- مرحباً سيدة غيمة ..

و بسبب تشتتي لم أُجب أنا فقط أنظر إليه و أبتسم كالبلهاء .

وصل السيد ليل أخيراً ليبتسم نحوي مما زاد توتري و بعثرتي أتسائل هل كنت مُخطئة فيما فعلت و لو كُنت كيف يبتسم لي **!!؟**

قطع تفكيري صوت السيد ليل يحدث سام قائلاً

- يبدو أن الآنسة غيمة أعدت الكعك و الشاي لنا اليوم ....

تلعثمت بحديثي لا أعرف ماذا أقول و لكني طلبت منهم الجلوس بكلمات متقطعة و توتر بالغ ظاهر على كل حركة و كل فعل مني .

جلس السيد ليل و وضع سام في حضنه ينظرون لي نظرات مستفهمة ربما ، لا أعلم حقاً كيفية تفسيرها **!**

لأدرك أخيراً بلاهتي فهم يجلسون على مقعدي و أنا مازلت واقفة فقط أتفحصهم بنظراتي ، اوه أعتذر أنا متوترة بعض الشئ اليوم لقد صنعت كعكة التوت الأزرق و الشاي الساخن

و عصير الفراولة لسام .

- شكراً لكِ انسة غيمة .

تفضلا رجاءً ، قدمت لهم أطباقهم مع الشاي و العصير ليحادث الأب ابنه قائلاً

- انظر سام يبدو أن الآنسة غيمة توقعت قدومنا اليوم و أحضرت لنا من الكعك .

أنهى جملته لأتفوه بجملة أربكتهم قبل أن تُربكني .. لقد كنت أفعل هذا يومياً على مدار التسعة أيام السابقة .....

ليل

جلسنا أخيراً بجوارها لتُعطينا بعض الكعك ، الوضع متوتر قليلاً أو ربما كثيراً فهى مشتتة للغاية و أنا أيضًا .

أود إخبارها لا بأس ما حدث كان مجرد سوء فهم و لكن الكلمات تأبى الخروج ، حاولت فتح حديث بإخباري لسام أنها أحضرت لنا جزء من الكعك فربما توقعت قدومنا و لكن ردها ألجمني .

هى فقط تحدثت بصوت هادئ و نظرة غير مفهومة لتخبرني .. **لقد كنت أفعل هذا يومياً على مدار التسعة أيام السابقة !!**

هل كانت تنتظرنا كل يوم في الأيام السابقة بالكعك و الشاي ؟؟

يبدو أن ما حدث ترك بها آثراً كما فعل معي أنا و سام ، ربما هى تَشعر بالذنب و لكن لا ذنب لها حقاً ، كيف أُخبرها ألا

تُحمل نفسها ذنباً بسبب مجرد سؤال و فضول عابر ؟

أعلم إننا لم نلتقي سوى مرتين و لكني قادر على تميز البشر فهى نقية و عطوفة أدركت هذا من نظراتها نحو سام .

فعلتها تلك و إنتظارها يومياً نتَج عن لوم نفسها لهذا هى مُشتتة و مضطربة .

صمت يَعمّ ثلاثتنا وسط ضوضاء تلك الحديقة حتى سام هادئ للغاية يتناول من الكعكة بهدوء شديد فهو أدرك توتر الجو .

مر وقت لا أعلم مدته و كلٌ منا منشغل بصمته و عقله النابض إثر ضجيجه حتى تحمحمت هى بهدوء

- هل أُخبرك سراً سيد ليل ؟؟

غيمة

بعد صمتٍ طويل و غير محبب يُزيد الوضع إحراجاً قررت الحديث سوف أخبره بما يأتي على طرف لساني أياً كان هو ، في كل الأحوال نحن لا تربطنا علاقة بأي شكل و لن يَحكم أحدنا على الآخر فيمكننا الإفتراق في لحظة أو ربما الحديث يُقربنا لنصبح أصدقاء أو حتى مجرد غرباء يتبادلون الأحاديث العشوائية فيما بينهم بينما يحتسون الشاي و الكعك .

حسناً سأحرر كلماتي و أطلق العنان لمكنونات قلبي للمرة الأولى منذ زمن بعيد أو للمرة الأولى على الإطلاق فـأنا لم أحظ بأصدقاء من قبل ..

هل اخُبرك سراً سيد ليل ؟

ألقيت بسؤالي أنظر في الإتجاه الآخر فـأنا لا أقوى على النظر نحو سام حتى أسمع إجابة والده ، صمت عمّ الأرجاء للحظات لإدرك إستغرابه ربما أو هو فقط لا يبالي بي أو بسري .

و لكنه أخيراً جاوبني ..

- بالطبع تفضلي

تنهدت أزفر جميع الهواء بداخل صدري إستعداداً للقادم ....

سام عزيزي هل ترى ذلك الصغير هناك هو يلعب بمفرده منذ وقت طويل و ربما يشعر بالضجر هل ترغب في الذهاب و اللعب معه ؟

تجمدت ملامح الأب فـأنا ابعد طفله عن حضنه بلا خجل و دون إستئذان أيضاً ، ابتسمت له بصغر لأردف سري لا يصلح للصغار .

رمش الأب قليلًا ليدرك معنى حديثي و سام بيننا تائه لا يدرك ما يدور حوله من حديث غير مفهوم بالنسبة له .

- اوه حسناً سام صغيري هل تود اللعب قليلاً مع الصغير هنا؟

- نعم بابا فأنا مللت قليلاً

- حسناً صغيري و لكن انتبه لا تؤذي نفسك أو الطفل أطلب منه بلطف أن تلعبا سوياً .

هز الصغير رأسه كأجابة ركض نحو الطفل الآخر يلهو معه

ليل

طلبت الآنسة غيمة من سام الذهاب بعيداً و اللعب مما آثار إندهاشي كيف تُبعد ابني عني و بلا أي إستئذان أيضاً !!

مهما كان فهى غريبة عنا ، و لكنها أنهت جميع تساؤلاتي قبل أن اتفوه بها حتى لتخبرني أن سرها لا يصلح للأطفال ، أدركت ما تقصد فليس كل حديث يصلح للإستماع و سام صغير للغاية .

طلبت من طفلي اللعب مع طفل ربما بمثل عمره و أيقظت حواسي كلها لأجل هذا السر

و الذي كان مؤلم للغاية من خلاله أدركت كل شئ تلك النظرات الفارغة و الهدوء المريب المحيط بها ....

غيمة

قبل كل شئ أود أن أعتذر منك سيد ليل فـأنا لم أكن فضولية ابداً ، أنا فقط رغبت في فتح أحاديث مختلفة و ربما كنت أرغب في صديقة لي في هذه المدينة الغريبة .

أعتذر لم أتعمد إيلامك و سام بأي شكل هى فقط كانت ذلة لسان و فضول في غير محله ، أنا حقاً صنعت آلاف الجمل في عقلي من أجل الإعتذار منكما فخروجك من المقهى بتلك الطريقة آلم قلبي للغاية و كان الشعور بالذنب يؤرقني كثيراً .

إنتظرتك أنت و سام يومياً على هذا المقعد بالكعك و الشاي منذ الصباح و حتى الغروب كي أعتذر لكما ..

إنتظرت يومياً بقلبٍ وجل و لكن عدم ظهوركما كالعادة جعلني أشعر بالخجل من نفسي ، ربما نحن لا نعرف سوى اسمائنا و لكنكم حقاً تمتلكون مكانة بقلبي لذا أرجو أن تقبل إعتذاري و تستمع لسري بصدر رحب .

كان صامت حتى نظرت له فابتسم لي يحثني على تكملة حديثي على ما يبدو لا يرغب بمقاطعتي و له جزيل الشكر في

ذلك فقد إستجمعت شجاعتي بعناء شديد .

انا أُدعى غيمة عمري ستةُ و عشرون عاماً عازفة بيانو سابقاً فقد إعتزلت العزف منذ ما يقارب العامين ، إنتقلت إلى هذه المدينة منذ عدة أشهر إخترت هنا حتى أكون أبعد ما يكون عن موطني .

هجرت وطني ظناً مني بأني أهجر حزني و آلمي معه ، هاجرت هرباً من المعاناة و الإكتئاب .

أتعلم سيد ليل فـأنا شخصية شهيرة على مستوى العالم فقد صُنفت من أفضل عشرة عازفي بيانو في العالم عندما كنت في عمر التاسعة عشر ، ضحكت بآلم حينما مرت بخاطري تلك الذكريات البعيدة

كنت فقط أملُك والداي و البيانو ، أبي كان حنوناً لأبعد الحدود كان يعتني بي و كأنني زهرةُ رقيقة يخشى عليها الذبول ، كان يعشق البيانو ، هو أيضاً كان عازف و لكن ليس محترف كان يهوى الآلات الموسيقية و يعزف على العديد منها .

أتعلم نظراتك نحو سام تُذكرني بنظرات أبي فهى تَحمل ذات الحب و العطف كان ينظر لي و كأنني أعظم ما يملك كما

تنظر نحو سام تماماً .

أما والدتي فلا أجد كلمات أصفها بها فهى كانت جميلة كملاك هارب من الجنة و اختبئ بالأرض كانت جميلة للغاية و رقيقة بهية الطلة مبتسمة المحيا ، لا أعلم كيف أصف حبها لي أذكر ذات مرة سقطت أثناء لعبي و خُدشت ركبتاي ظلت هى تبكي لمدة يومان لأني تألمت قليلاً .

صمت أتنفس بثقل أُحاول لملمة مشاعري و الإحتفاظ بدموعي لنفسي فـأنا ضعيفة للغاية عند ذِكر والداي .

كنت أضغط بأظفاري على كفاي بشدة لدرجة ربما أدمت كفوف يدي كل هذا في محاولة مني للتماسك ، و لكني لا أهتم حقاً أنا فقط أود الحديث و البوح فـأنا أكاد أجن من كتماني كل هذا بداخلي فربما المشاركة مع شخص يُعاني تُخفف آلمي و آلمه .

تماسكت قليلاً لأستأنف حديثي .. والدتي كانت تعشق كعكة التوت الأزرق فقد تعلمت كيفية صنعها منها

كلما رغبت بالشعور بوجودها حولي أو كلما إشتقت لها قُمت بإعدادها فهى لها رائحة أمي و دفئ أمي .

حينما أنهيت جملتي لم أعد استطيع التحكم بدموعي لذا

أطلقت لها العنان لتسقط بكثرة على وجنتاي و كأنها كانت حبيسةُ تصرخ تطالب بالتحرر .

قضيت حياتي مترفة فنحن ميسوري الحال تدربت على البيانو بعمر الرابعة كان العزف كل حياتي إلى جانب والداي بالطبع ، كنت مكتفية بوجودهما لدرجة إنني لم أملك أية أصدقاء على مدار سنوات عمري .

كنت واحدة من ألمع عازفي البيانو في موطني ، حِزت العديد من البطولات ، كنت أقود أكبر المسارح رغم صِغر سني و لكن موهبتي كانت تفرض نفسها و تُهيمن على الجميع ، فقد كنت أملك أنامل صُنعت من عقيق " الأندراديت " كما كان يوصفني أبي دائماً نظراً لندرة وجوده .

كانت حياتي هادئة و لطيفة حتى ذلك اليوم المشئوم .....

كنت في الرابعة و العشرين من العمر أعزف على أكبر مسرح بالدولة و التي كانت تستضيف واحدة من أعرق مسابقات البيانو ..

كنت المرشحة الأقوى للفوز بالمركز الأول ، في ذلك اليوم كان حاضر بين المدعوين والداي كعادتهم لم يفوتا لي أي مرة

قمت بالعزف فيها حتى لو مسرح مدرسي ، كنت أعزف بشغف طاغي و كأن نهاية العالم غداً عيناي لا ترى سوى إبتسامات أبي و أمي المحببة لي و لا أسمع سوى صوت البيانو يطِلق ألحان بيتهوفن يملأ صداها أركان هذا المسرح الكبير .

كنت سعيدة فقد نِلت المركز الأول ، لم أدرك حينها أن اليوم هو نهاية العالم بالنسبة لي و ليس غداً

نهاية عالمي الصغير .....

في طريق عودتنا كنا نُغني معاً مُبتهجين كعادتنا نحتفل بجائزتي و لكن ما لم نحسب حسابه هو ذلك الحادث حيث فقد أحد سائقين سيارات النقل الثقيلة السيطرة عليها و آخر شئ أتذكره كان إحتضان أمي لي في محاولة لحمايتي ثم ظلام دامس .....

كنت أبكي أثناء حديثي و السيد ليل مشكور لم يقاطعني ابداً كان ينظر نحوي و يستمع فقط تعلو وجهه نظرات لينة و كأنه يُخبرني أن بإمكانه الشعور بالحرقة التي تسري في أوصالي .

حاولت تجفيف دموعي و لكنها مستمرة في التساقط ، أنظر للأرض أحاول إخفاء وجهي حتى لا يراني سام و يرتعب .

حاولت التماسك بعض الشئ لأكمل حديثي ، إستيقظت بالمشفى بعد مرور ثلاثة أشهر من الحادث فإصاباتي كانت خطيرة و كنت بغيبوبة أول كَلمة تَفوهت بها كانت أمي .

قَطعت شهقاتي كلماتي فلم أعد أقو على التحمل مجرد تَذكري لتِلك الأيام يؤلم قلبي ، بَكيت بحرقة و آلم لفترة لا أعلم كم طالت و لم أشعر بشئ سوى تلك الأنامل الصغيرة تتلمس ظاهر يدي و الآخرى تُربت على ذراعي .

فقد كان سام و الذي تتدمع عيناه بصمت على بكائي الصادم بالنسبة له

لم أعي لنفسي إلا عندما إحتضنته بشدة ، أرتجف ببكائي و شهقاتي تعلو أشعر به يُربت على كتفي

- ميمي لما تبكين ؟ هل أنتِ غاضبة من سام ؟ هل أنتِ حزينة أو مريضة ؟

- لا تبكِ أرجوك

كان يحادثني و لكني لفرط مشاعري لم أستطع الحديث أو إجابة أسألته .

ليُنقذني والده عندما أخبره إني خائفة قليلاً و لكن إذا شدّ إحتضاني سوف أصبح بخير .

و لم يكن منه سوى أن يطّوق عنقي بشدة ليخبرني ... **لا تخافي ميمي سام بجانبك لن أتركك ابداً فـأنا لا أخشى الوحوش الصغيرة ابداً ابداً ....**

إلهي كم هو لطيف هو و والده ، كان يعانقني سام بشدة و رغم ضئل جسده إلا إنه كان يحتويني بقلبه الكبير و تربيتاته الدافئة كانت تلامس قلبي و ليس كتفاي ، عِناق الأطفال دائماً كالبلسم يُشفي ندوبنا .

هدأت قليلاً من الإنهيار الذي داهمني و رفعت وجهي أخيراً أنظر نحو سام ، أعتذر صغيري لقد أخفتك .

نظر لي سام بعيون براقة تشع عطف ليمسح دموعي بأكففه الصغيرة و ابتسم لي قائلاً ... **لا تحزني ميمي و لا تبكي ابداً سام لن يتركك ابداً منذ اليوم و إذا شعرتي بالخوف ثانيةً فقط عانقيني و أنا سأحميكي جيداً** .

هذا الصغير يعرف حقاً كيف يُنبت في قلبي زهوراً بكلماته النابعة من قلبه .

كان والده يبتسم نحونا بحب و هناك بعض الدموع العالقة بعيناه لا أعرف هل يرغب بالبكاء لمواساتي ام هو يصارع آلمه الخاص ؟

إنتهى عناقي أنا و سام عندما أشار له أبيه على ثلاثة أطفال مقاربين له بالعمر و يبدو أنهم على معرفة بهم لأن سام ركض نحوهم صارخاً بضحكاته التي بإمكانها مداواة جروح قلبي .

في تلك اللحظة إستوعب عقلي ما حدث لأشعر بخجل كبير فقد كنت أبكي بشدة و لكن نظرات السيد ليل و إبتسامته اللطيفة طمأنتني قليلاً و أحجمت البعض من خجلي .

- هل أنتِ بخير ؟ ما رأيك بكوب من الشاي علّه يهدئ روعك قليلاً حتى نستأنف سِرنا الكبير ؟

قالها بلطفٍ بالغ و لكن ما أثلج قلبي هى تلك الجملة سرنا الكبير ، تلك الجملة التي أشعرتني أن هناك من يهتم بي و بما أُفكر و كيف أشعر ، أن هناك من يرغب بالإستماع لي .

لقد زرت العديد و العديد من الأطباء النفسيين و لكن لا أحد منهم جعلني أشعر كما الآن ، ربما جل ما كُنت أحتاج إليه هو

عناق ضيق و كلمة تشجيعية ، ربما لكان مفعولها كالسحر بدلاً من تلك الأدوية الكميائية التي أهلكت عقلي .

إحتسينا الشاي بينما أحاول لملمة شِتات قلبي ، كنت أراقب سام يمرح و يلهو مع أولئك الصغار و الذي كان يُخبرني عنهم والده .

كان يلوح لي سام بين الحين و الآخر و أيضًا هُناك سيدة حيّتنا أنا و والد سام و التي عَلمت أنها والدة الصغار الثلاثة و هي إمرأة تبدو في أواخر الثلاثينات تملك ملامح جميلة و ابتسامة لطيفة .

فـأنا مُعتادة على مراقبة ملامح الأشخاص منذ قدومي إلى هذه المدينة .

إنتهى الشاي أخيراً ليوجه لي السيد ليل سؤاله ..

- هل ترغبين في إستكمال السر ؟ إذا كنتِ تشعرين أنكِ لست بخير يُمكننا إستكماله لاحقاً .

نفيت بهدوء ، شكراً لك أنا أفضل الآن و شكراً أيضًاً لإستماعك لي و تحمل حماقاتي .

تنهدت لابدأ من مكان توقفي عند إستيقاظي بالمشفى ، إستيقظت من غيبوبتي بجسد مُحطم فكانت الجبيرة جزء من جسدي ، و لكن ما حطمني فعلاً هو عندما علمت بوفاة والداي فقد توفيا يوم الحادث بسبب الإصابات البالغة و ما حماني من الموت هو جسد أمي المعانق لي ، شعرت حينها أن والدتي وقفت حائلاً بيني و بين الموت ضحت بنفسها لأجلي .

في ذلك اليوم كانت صرخاتي تدوي في أنحاء المشفى و تم حقني بالمهدئات لمدة كبيرة فقد كنت اصرُخ طيلة الوقت و أحاول النهوض رغم جسدي المحطم .

كان يزورني بعض الأقارب كل فترة للإطمئنان علي ، قضيت ثلاثة أشهر آخرى في تلك المشفى قضيتها صامتة دون تحدث فقط بكاء و صرخات بين حين و آخر كل شئ من حولي كان يدعوني للصراخ شعرت بأنه ليس لي مكان بهذه الدنيا مات والداي و لم يكن لي غيرهما في الحياة .

لم أحضر العزاء الذي أقامه أقاربي فقد كنت في غيبوبة ، لم أتمكن من وداعهما وداعاً لائقاً أو حتى زيارة قبريهما .

قلت الزيارات شيئاً فشئ و زادت الأدوية المُهدئة كنت عبارة عن دُمية متحركة تنظر للفراغ بعين جاحظة و وجه شاحب ،

عدت إلى منزلي و الذي كان فارغاً من صوت أبي و دفئ أمي ، كانت تلك المرة الأولى لي بالبقاء وحدي في منزلنا .

منزلي الرائع و المليئ بالحيوية و حب الأسرة كانت تُغلفه برودة الموت يَنقُش الإكتئاب على جدرانه بأظافر حادة ، ظلام مُنبعث منه ظلام يُقبض قلبي و حينما رأيت صورة تجمعنا معاً كان هذا بداية إنهياري .....

مرت علي الأيام كالدهر كانت تمر كمرور تلك الشاحنة القاتلة على روحي ، كانت تأتيني بعض الإتصالات من وقت لآخر و لكني لم أجُب أحد ، كانت أيامي عبارة عن فراغ حتى لم أكن أتناول طعامي إلا مرة واحدة بالإسبوع ربما ، لم أكن أتناول شئ إلا لإنقاذ نفسي من الإغشاء .

و بعد مرور و قت من البكاء طويلاً قررت أن أنفض الحزن قليلاً عن ذاتي و الذهاب لطبيب نفسي و كان ذلك عندما شعرت بحزن أمي البالغ علي من مكانها بالجنة فهى كانت تتألم ضعف آلمي .

كنت أتناول العديد و العديد من العقاقير و التي لم تفدني ابداً و بعد شهور طويلة أدركت أن بقائي في المنزل لن يُشفيني ابداً لأني هُناك كنت حبيسة ذكرياتي مع أحبائي أبحث دائماً عن صدى صوتهما و رائحتهما ، في تلك الفترة كنت إعتزلت

العزف فقد أصبح البيانو بالنسبة لي كوحش كاسر سلب مني جميع ما أملك و عدوي اللدود الذي إنتصر في حرب سقط إثرها كل من أحب .

و بعد تفكير عميق قررت المغادرة قررت الرحيل عن منزلي و موطني و آلمي إخترت تلك المدينة بسبب بُعدها و بسبب الجو أيضًا فـأنا من محبين فصل الشتاء .

الأشهر القليلة التي قضيتها هنا كانت كرحلة إستشفاء بالنسبة لي .. أتابع المطر و ندفات الثلج أحتسي قهوتي ، أنام ، أتجول قليلاً هذا جل ما أفعله على مدار يومي ، و لا أعرف أحد من سكان المنطقة سوى السيد كلاريس و زوجته .

زفرت بقوة لأرفع وجهي إلى السماء عل البرودة تَصفعني لأعود إلى رشدي ، انزلت وجهي لأوجه نظري نحو السيد ليل و الذي كان يرميني بنظرات غير مفهومة ليبتسم باتساع يُخبرني بأكثر جملة مفاجأة لي .. **آنسة غيمة أترغبين في تناول الغداء معي أنا و سام في الغد بمنزلنا ؟؟**

ليل

بدأت الآنسة غيمة في الحديث عن السر كما أخبرتني و كنت كلي أذان صاغية ، كانت تُخبرني بقصة حياتها و كأنها تَلقي بثقل عن كاهلها فهى عانت كثيراً و تحولت من تلك الإبنة اللامعة و المحبوبة إلى مجرد جثة متحركة سقطت فريسة الإكتئاب و الحزن .

أثناء حديثها كانت تحاول جاهدة إخفاء دموعها و كبح تلك الشهقات التي تحاول الخروج و تمزيق حلقها ربما ، حاولت السيطرة كثيراً على نفسها و حاولت معها فكل ما تُلقيه على مسامعي يذكرني بجرحي النازف .....

يبدو أننا في نفس المُعناة نُعاني من فراق الأحبة و من هجوم الذكريات كالوحش الكاسر ينهش دواخل قلوبنا المتعبة ، عند وصولها لنقطة الفراق سقطت جميع دفاعاتها و تركت العنان لبُكاؤها .

كانت تبكي بحرقة مدمية للقلب ، رغبت كثيراً أن أُربت على كتفها أن أُخبرها عن شعوري أيضًا الذي تخدشه ذكرياتها تُعيد

لي جُرحي الذي لم يندمل بعد .

كنت أجاهد أنا أيضاً ، أُجاهد ألا أبكي ألا أنهار بجوارها ، علت شهقاتها و إلتفت لنا ابني سام حينها فقط شعرت بالتوتر ، كان يركض نحونا إقترب منها و تيبست أنا بمكاني كنت أنظر له لا أعلم كيف أُفسر هذا البكاء الصاخب ، و لكن رد فعل سام جمد عقلي لقد أدمعت عيون ابني و إقترب منها في محاولة لمواساتها ، بالطبع كان خائف و مندهش من المشهد أمامه حاول سؤالها عمّا يُبكيها و ما كان مني سوى إخباره أنها خائفة تبرير سخيف ربما و لكن سيصدقه .

عانقته فجأة و أجهشت في البكاء و كان ملاكي الصغير يُطمئنها بكلماته البسيطة ، هذا المشهد أمامي بقدر غرابته إلا إنه كان رائعاً ابني حقاً ملاك فقد هدأت الآنسة غيمة إثر هذا العناق و هذا ما توقعته فعناقات أولئك الملائكة الصغار تعمل كالدواء للقلب العليل حقاً فبرغم حجمهم الصغير إلا أنهم يملكون طاقة هائلة من المشاعر المهدئة و الجميلة .

في تلك الأثناء لمحت جارتنا السيدة مادلين و ابناءها الثلاثة أصدقاء سام لأخبره بذلك فذهب ركضاً إليهم ، حاولت تهدئة الأنسة غيمة و احتساء بعض الشاي حتى تدفئ دواخلنا قليلاً

كما أعتقد هي بحاجة ماسة إلى شئ يفصلها عن تفكيرها في ذكرياتها الموحشة .

تبادلنا أطراف الحديث حتى إنتهينا من الشاي لتتابع حديثها و سرها الكبير ، و حينما إنتهت لم أعي على نفسي سوى و أنا أطلب منها تناول الغداء بمنزلنا ، أعتقد أنها تفاجئت أيضاً فهذا كان عشوائي بعض الشئ و غير متوقع و لكنها وافقت بسعادة .

لا أعلم لما طلبت ذلك الطلب الغريب و لكني شعرت بأنها قريبة منا فهى تُشابهني ، تشابهني كثيراً في الآلم و المُعناة تشبهني في العثرات و محاولات الشفاء المتكررة و التي غالباً ما تنتهي بالفشل .

وددت التقرب منها ربما أعوضها أنا و سام عن أسرتها الراحلة و ربما تكون هى لنا رفيقة و صديقة تمد سام ببعض مشاعر الأمومة التي يفتقدها .

رغبت بأن نكون مواساة لبعضنا البعض و رفاق في تلك الغربة الموحشة ، تبادلنا الأرقام و وصفت لها العنوان و بالطبع هو قريب للغاية فنحن نقطن الحي ذاته ثم استأذنتها بالرحيل و ركضت أحمل سام أحيي السيدة مادلين و أطفالها و خرجت مُسرعاً من الحديقة فـأنا أملك الكثير من المهام منها

ترتيب المنزل فحالته يرثى لها تعمه الفوضى و إعداد قائمة طعام لغداء الغد فهو هام لي كثيراً

فغداً سوف أكتسب أول صديق لي في هذه المدينة كما أنني قررت إخبارها أنا أيضاً

بسري الكبير .....

غيمة

رغم تَعجُبي من طلب السيد ليل إلا إنني وافقت بسعادة فـأخيراً سوف يُصبح لي أصدقاء في تلك المدينة ، أخيراً سأتقرب من هذا الملاك الصغير .

رحل سام و والده و ظللت أنا جالسة قليلاً ألملم شتات نفسي لأعود بعدها إلى المنزل مُتعبة و كأنني إصطدمت بقطارٍ متحرك .

رميتُ بجسدي على الفراش لأذهب في ثُبات عميق ، إستغرقت في النوم كمن لم يذق النوم منذ دهر و إستيقظت في الواحدة صباحاً و لم يوقظني سوى تذمرات معدتي راغبة بالطعام .

تناولت بعض الطعام بذهنٍ شارد فيما حدث بالصباح و ما سيحدث غداً في هذا الغداء ، لا أعلم لما شعرت بالخجل و التوتر ، خجلة مما إفتعلت من بُكاء و نحيب و مشاركة

شخص لا يعرفني بسري الكبير و متوترة من الإلتقاء بهم غداً و في منزلهم أيضاً .

ظللت مستيقظة حتى إقتراب الشروق أُفكر بالغد ، إستيقظت اليوم التالي في ساعة متأخرة لأجد رسالة في هاتفي من السيد ليل يخبرني بها لنلتقي في الخامسة بإنتظارك أنا و سام .

إبتسمت تلقائيا بسبب تلك الرسالة ، تناولت كوب من الشاي و هممت بإعداد كعكة التوت الأزرق حتى نأكلها سوياً طازجة فعلى ما يبدو أن الكعك سيكون رمزاً لصداقتنا ، و حينها تذكرت حب سام لمربى المشمش و الذي بالمصادفة أملك منها كمية كبيرة حسناً لتكون كعكة التوت و مربى المشمش إذاً ...

و في تمام الساعة الرابعة هممت بإرتداء ملابسي و لا أستطيع وصف توتري حينها إلهى فقد كنت أرتدي قلبي و ليس ملابسي ، إنتهيت لأحمل كعكتي و أغادر المنزل و في طريقي إليهم إشتريت بعض المشروبات و هدية آخرى أأمل أن تنال إعجابهم ، طوال الطريق كان قلبي ينبض بشدة فتلك المرة الأولى لي بالتجمع مع أشخاص و تناول الطعام معهم .

وصلت أخيراً لأصعد إلى الطابق الرابع و كانت الطبول تقرع من حولي في حماس شديد حتى أصل إلى زر الجرس أمامي

، ضغطت الزر لأسمع صوت ركض خطوات صغيرة و صوت سام المبتهج من خلف الباب يسألني **من بالخارج هل انتِ ميمي ؟**

قهقت بخفة لأخبره اجل صغيري .

عاد صوت الركض على ما يبدو يُخبر والده و لم تمر سوى ثوانٍ عدة حتى فتح لي السيد ليل الباب

- مرحباً تفضلي بالدخول .

إبتسمت له بوسع هو و سام المُلتصق بساقه و على وجهه بعض تعابير الخجل .

تفضل هذه الكعكة و المربى من أجل سام

- شكراً لكِ ، اوه مربى المشمش سام يعشقها بحق .

بقيت في يدي الهدية الآخرى حتى إنحنيت نحو سام أطلب منه عناق و بالفعل عانقني بشدة يخفي وجهه بعنقي و أشعر بخجله فهو مازال يعتاد علي و أعتقد أن ما حدث البارحة آثار ريبته و إستغرابه و لكنه صغير لا يملك طريقة للتعبير عما يدور بخلده .

فصلت العناق لأخبره أنني أحضرت هدية صغيرة لأجله ، هل تريد رؤيتها يا عزيزي ؟

أماء رأسه بخفة تنمو على ثغره الصغير إبتسامة لطيفة ، لأخرج له الهدية و التي كانت عبارة عن أصيص صغير لزهرة الخزامى .

رأيت ملامح الإندهاش تعلو وجه الصغير هو و والده لأضحك بشدة كالبلهاء مما جعلهم يضحكون بعلو هم أيضاً ..

حقاً الضحك مُعدي و السعادة تبدأ بابتسامة ، هذه زهرة الخزامى يا صغيري هى نبتة رائعة و لها رائحة جميلة تُشابه رائحتك فلتعتبرها صديقة صغيرة لك تعتني بها في الصباح و في المساء هى تُريح أعصابك و تُساعدك على النوم بلا كوابيس .

ابتسم والده و طلب منه أن يشكرني .

- تفضلي بالجلوس حتى أضع الهدية بالنافذة حتى تصلها الشمس .

كنت أجلس على أريكة بداخل صالة منزلهم و أنظر حولي اتأمل المكان ، منزل بسيط و دافئ الآثاث يكفي شخصين فهو

ليس بالكثير و أعتقد هو تعمّد ذلك ليعطي سام حرية الحركة ، هناك الكثير من الصور لسام وهو في عمر أصغر و حتى الآن و لكني لم أجد صورة لوالدة سام و الذي كان فضولي يأكلني لأعرف ملامحها لأرى تلك الجميلة التي أنجبت هذا الملاك الصغير .

و في أثناء تأملي لما حولي عاد الوالد و ابنه ..

- ما رأيك أن نتناول الغداء الآن فسام متحمس لتناول الكعك و المربى و لكني أخبرته أنهم للتحلية .

حسناً إذًا لنتناول الطعام فأنا جائعة قيلاً أخبرته ليبتسم ، إنتقلنا إلى طاولة الطعام و التي كانت منمقة للغاية و عليها عدة أصناف تبدو لذيذة .

تبدو ماهر بالطبخ سيد ليل .

ليصيح سام بعلو مخبراً إياي .. **بابا هو الأروع في كل شئ يعد لي دائما الطعام اللذيذ .**

قهقت بخفة يبدو أن هذا الصغير يحب الثناء على والده كثيراً ، تناولنا الطعام و الذي بالمناسبة كان شهياً للغاية وسط أحاديثنا العشوائية و ثرثرة سام عن أصدقائه أبناء الجارة السيدة مادلين و عن الأرجوحة التي صنعها لهم زوجها و

غيرها من الأحاديث اللطيفة .

كنت أشاركهم الطعام و الحديث و كل ما يدور بداخلي هو تفكيري بذلك الإضطراب الذي يَعصف بدواخلي فأنا للمرة الأولى أُشارك غرباء الطعام و الحديث ، دفئ منزلهم و ثرثرتهم عن أي موضوع مهما كان صغير كان يُذكرني بمنزلي كان يُذكرني بالوطن و دفئ الوطن يذكرني بأحضان والدتي و دفئ صوت والدي و لمساته الرائعة لأصابعي .

كانت السعادة تتفجر بداخلي تلك الأسرة الصغيرة تُشعرني بالحياة مرة آخرى و كأن هناك بستانً من الورود الفواحة يُزهر بداخل قلبي يمنحني جمالاً و حياة .

إنتهينا من الطعام لنتناول الكعك و الشاي ، كان سام يجلس قريب مني يمنحني إبتسامة دافئة بين الحين و الآخر بينما يمدح كعكتى و مربى المشمش .. هذا الصغير المتملق .

مرّ الوقت سريعاً كلمح البصر و كنت ألاحظ التوتر الظاهر على محيا السيد ليل هو يحاول إخفاؤه بجهدٍ بالغ و لكنه يظهر بوضوح حينما يفرك كفيه ببعضهما أو يشد على ملابسه قليلاً هو حتى يرمش كثيراً مما أشعرني بالحرج يبدو أنه يرغب برحيلي و لكنه لا يعلم كيف يخبرني .

تحمحت ناظرة له أحاول التحدث بجملة مهذبة ، حسناً سيد ليل شكراً لك على تلك المائدة الجميلة و الوقت الرائع علي العودة الآن .. إستأذنته حتى أغادر .

نظر لي بتعجب لينفي سريعاً

- ل لا لا الساعة الآن السابعة فقط نحن لم نشرب القهوة بعد ، كما أنني أرغب بالتحدث معكِ قليلاً إذا لا تمانعين .

كان يتحدث بتقطع و توتر واضح ، حاولت الإجابة فأنا بدأت أشعر بالقلق قليلاً على حاله .

اه اممم حسناً لا بأس أستطيع الجلوس قليلاً بعد .

- سام ما رأيك أن تذهب لغرفتك للتلوين بكتابك صغيري حتى نتحدث أنا و الآنسة غيمة .

طلب من ابنه الذهاب إذاً يبدو الوضع جدي و لكني على إستعداد للإستماع إلى حديثه أياً كان فيبدو أنه سيشاطرني حزنه و يُخبرني بسره أيضاً لذلك يبدو بهذا التوتر

أكنت بهذا الشكل البارحة أنا أيضاً ؟ **!!** إلهي إرفق بنا .

وافق سام على الذهاب فهو طفل مُطيع إقترب مني و عانقني وفعل المثل لوالده و ركض نحو الغرفة ، لتبدأ الآن معاناتي ..

ليل

سمعنا جرس الباب ليركض سام يسأل عن الطارق و المضحك أنه يسأل هل أنتِ ميمي !

كان متحمس للغاية للقائها فهو معجب بها للغاية بشكل يدهشني حقاً ، عندما أجابته عاد لي راكضاً حتى أفتح الباب رغم حماسه الشديد لمقابلتها إلا إنه كان خجول بعض الشئ .

أحضرت لنا الآنسة غيمة كعكة التوت الأزرق و التي يبدو ستُصبح عادة لها عندما نجتمع ، لا نرفض ذلك ابداً بل نرحب بالكعكة فهى حقاً ذات مذاق رائع .

كما أحضرت هدية لطيفة لسام و هي عبارة عن أصيص صغير لزهرة الخزامى ، إندهشت حقاً لتلك الهدية اللطيفة فهى المرة الأولي لسام في الإهتمام بكائن حي ربما تكون مسئولية كبيرة بعض الشئ بالنسبة لسام و لكني موقن أنه سيكون على قدر المسئولية .

كنا نتناول الطعام بين أحاديثنا الكثيرة سام كان يحكي لها عن أصدقائه و رسوماته و كانت تستمع له بإهتمام بالغ ، كنت

أرى بعيناها لمعة واضحة يبدو و كأنها كانت متلهفة لتجتمع بأحدهم لتكسر تلك الوحدة السقيمة التي تعيشها .

إنتهى الغداء و كنت في حالة يُرثى لها متوتر و خائف عقلي يتأرجح ذهاب و إياب ، هل أتحدث معها و ألقي بثقل قلبي أنا أيضاً علّي أرتاح قليلاً فبعد ما حدث بيننا البارحة أرغب و بشدة في الحديث .

داخلي شعور غريب يدفعني للتقرب منها يُخبرني أنها سوف تكون نعم الرفيق لسام و لي أيضاً ، على ما يبدو أنها لاحظت توتري و ظنت إنني غير مرتاح لوجودها و أن اللقاء بيننا كان لمجرد تناول وجبة كنوع من اللباقة لا أكثر و لا أقل لذا استأذنت بالرحيل و لكني رفضت .

أرجو ألا تُغادر فأنا أخيراً إستجمعت شجاعتي حتى افُرج عن سري لشخص ما ، ذلك السر الذي يجعلني أتجرع الآسى يومياً و أتعذب كل ليلة بشكلٍ مفرط ، من الجيد أنها لم تذهب عندما أخبرتها إني بحاجة للحديث معها و لكنى لاحظت توترها الظاهر بشكلٍ مفرط .

طلبت من سام المغادرة إلى غرفته حتى لا يستمع إلى حديثي و الذي سوف يكون مؤلم لكلانا بل لثلاثتنا فنحن بِتنا نتشارك الآلم مذ أننا نتشارك المصير ذاته الناتج عن فراق أحبائنا .

ذهبت للمطبخ أعد بعض القهوة كنت أشغل نفسي بصنع القهوة حتى أتماسك و أستطيع الحديث بشكل مناسب مع الآنسة غيمة ، إنتهيت من صنع القهوة و عدت لها لأجدها تجلس بهدوء في مكانها على الأريكة تنظر إلى الأرض .

جلست على الكرسي المجاور لها و كنا نحتسي القهوة في صمت موتر لأقرر أخيراً إنهاء هذه المُعناة

تحمحت أستجمع شجاعتي .....

آنسة غيمة نطقت أولاً لألفت انتباهها لي و هى بالفعل نظرت لي بإستفهام ، هل يمكنني إخبارك بسري الكبير أنا أيضاً ؟

بعد تجمدها لعدة لحظات أجابتني بابتسامة تكاد تكون ظاهرة .

- بالطبع يمكنك ذلك أنا أجيد الإستماع كما أنني شاركتك سري من قبل ، تفضل كلي آذان صاغية ابدأ عند شعورك بالإستعداد للحديث .

كانت نظراتها نحوي لينة تُخبرني بعيناها أنها تَشعر بمعاناتي و عجزي عن البوح ، كان لكلماتها معنى مستتر خلفها و لكني إلتقطته ، كانت تخبرني أنها تعلم بالمعركة التي تحدث بداخلي و إنها في إنتظاري متى ما إستطعت البدء .

زفرت بهدوء و استندت بظهري على الكرسي الجالس عليه لأبدأ بسرد معاناتي و سري الكبير للمرة الأولى لشخصٍ غريب غير عائلتي و طبيبي النفسي .

سوف أشرح القصة من البداية ..... أنا ليل في الثامنة و العشرون من عمري أعمل في مجال التصميم و العمارة ، تعرفت بزوجتي روزا في سن التاسعة عشر كانت الفتاة الأروع بجامعتي كنا نَدرس ذات القسم و في ذات العمر .. كنت أتحدث كراوٍ لقصة ما و لا أعلم لماذا ؟! ربما حتى أستطيع التماسك حتى النهاية ؟؟

روزا كانت دائما مُشعة نشطة و مشاكسة كانت تنبض بالحياة ، كانت تتمتع بجل الصفات اللطيفة فهى رقيقة القلب و حنونة كانت كالملاك ، كانت تهوى كل جميل بمعنى أدق روزا كانت فتاة أحلام جميع الفتية بالجامعة و لكنها إختارتني أنا .....

كنت أذكر صفات زوجتي الراحلة و جميع خصالها الرائعة و قلبي يتمزق بين أضلعي كنت أتنفس ببطئ مريع محاولة مني في التحكم بذاتي فنحن لازلنا بالبداية لا يصلح البكاء الآن لذا كنت أتماسك بكل ما أوتيت من عزم .

كنت أحبها بشدة و بشكل قد يبدو للبعض مُبالغ به و لكنها أحبتني بالشكل ذاته ، روزا علمتني أن أهوى كل ما هو جميل

كنا نحيا قصة حب أسطورية يتحاكى عنها جميع الأصدقاء و بمقولتي جميع الأصدقاء أقصد هنا العشرات منهم فأنا و روزا كنا إجتماعيين للغاية نَملك عشرات الأصدقاء و المعارف .

كيف لا تملك كل أولئك الأصدقاء و هي تملك تلك البهجة و الإبتسامة الخاطفة للأنفاس ، ابتسامتها وحدها كانت كفيلة بإنتشال جميع همومي .

سرحت قليلاً أتذكر وجه روزا الباسم و صوتها المفعم بالحياة و تلك القهقات التي كانت تُطلقها للجميع اه يا روزا أفتقدك كثيراً .....

بعد صمت دام لحظات كانت تنظر نحوي الآنسة غيمة بعطفٍ بالغ هى لم تنطق ببنث شفه و لكنها فقط تنظر نحوي نظرات عطوفة و لن أبالغ عندما أوصفها بأنها كانت تُشبه نظرات أمي كانت تُظهر نفس العطف و الحنان اللذان يظهران دوماً في نظرات أمي و أحاديثها .

إستئنفت حديثي حتى أكمل لها قصتي أو سري بل سرنا الكبير كما أطلقنا عليه ، إستمر حبنا حتى قررنا الزواج و تكوين أسرتنا الصغيرة كنا في عمر الثانية و العشرون فقط و في بداية حياتنا العملية ، قرار زواجنا قوبل بالرفض من عائلتينا

بسبب صِغر عمرنا إعترضوا و بشدة .

كانوا يخبروننا أن العمر مازال أمامنا يجب أن نستفيد بسنوات عمرنا في الحب و المرح و إكتساب خبرات الحياة قبل أن نتحمل مسئولية كبرى تُثقل كاهلنا في تلك العمر الصغيرة ، و لكننا تمسكنا برأينا و ياليتنا لم نفعل ....

إهتز صوتي و إرتجفت يداي بشدة فلو إستمعنا لذوينا و لم نتزوج في عمرنا الصغيرة تلك ربما كانت روزا معي الآن كانت ستظل على قيد الحياة ، كانت هناك غصة مرّة يحتضنها حلقي لم أستطع الصمود بعدما مرت تلك الفكرة بعقلي للمرة المليون منذ وفاتها و إنهمرت دموعي و تركتها أنا تسقط كما تريد فليس هناك داعٍ لتخبئتها ، بكيت بحرقة أُخبرها أن لولا عنادي لكانت زوجتي بخير الآن

لكانت معي نحيا بسعادة و إطمئنان بدلاً عن التشتت و الحزن بعيداً عن الوطن و الأحبة .

بكيت بشدة و توترت الآنسة غيمة و كان نظرها مصوّب تجاه غرفة سام التي ركضت تجاهها و عادت بعد دقيقة ، لا أعلم ما حدث لكن باب الغرفة موصد .

عادت إلى جانبي بذات الإبتسامة الهادئة و لكن عيناها تحمل

بعض الدموع العالقة ، ربتت على كتفي لتُخبرني لا بأس تنفس و أكمل حديثك أنا معك ..

تلك الجملة القصيرة أحيت بداخلي شعور غريب بالألفة كانت جملة لمواساتي فقط ولكنها أعطتني طاقة كبيرة لإستئناف حديثي و كأنها تُخبرني لا تخف لن تحزن وحدك الليلة كما تحزن كل ليلة ، كانت الجملة بمثابة المشاركة في الآلم .

جملة بسيطة خففت عني الكثير مما يُثقل قلبي و كأنها وهبتني بعض الطمئنينة إنني لو تحدثت أخيراً سوف أرتاح و لو لليلة واحدة .

استأنفت حديثي بعدما نظرت نحوها مطولاً ، تزوجنا بعدما أقنعنا عائلتينا بصعوبة بالغة ، بنينا منزلنا بأنفسنا و جهزنا كل جزء منه بأيدينا بمساعدة أصدقائنا ، كانت حياتنا أكثر من رائعة لن أُبالغ إذا وصفتها بالحياة المثالية كان يومنا يمر بين العمل و التنزه و الرقص على أنغام الموسيقى .

إستمر الحال هكذا لأكثر من عام و في يوم شعرت روزا بالإجهاد المفاجئ دون سبب و استمر الحال لعدة أيام و بعد إلحاح كبير مني أخيراً ذهبت للطبيب حتى نطمئن على صحتها

و هناك سمعنا أسعد خبر في الحياة خبر حمل روزا و تلك كانت المرة الأولى لنا في بالبكاء من فرط السعادة و الأخيرة أيضًا .

كانت سعادة روزا لا توصف منذ علمها بخبر الحمل لم تتوقف عن شراء أغراض الأطفال و الألعاب و الملابس برغم عدم معرفتنا بنوع الجنين بعد ، كانت كل ليلة تُغني لجنينها الصغير و التي كانت تلقبه بالملاك تغني له تهويدات بصوتها الرقيق حتى يغلبها النعاس .

كانت تحادثه دائمًا و كلما سألتها بإغاظة أتحدثين طفل لم يولد بعد .. !!

كانت تُخبرني أنها تحادث ملاكها الصغير حتى يتعرف عليها سريعاً عندما يولد ، بعد عدة أشهر عَلمنا أنها تحمل بصبي صغير ، أخذنا وقت كبير لنختار له اسماً جميلاً و بالنهاية

إختارنا الاسم " سام " .

روزا كانت بالغة الحرص على صحتها و صحة جنينها ، مرت التسعة أشهر بلمح البصر مرت و كنا في لهفة شديدة لأستقبال ملاكنا الصغير فكنا دائماً نَحلُم بالحصول على العديد من الأطفال ، كنا نتخيل شكل سام و أي منا سيشبه .

لفظت كلماتي من بين شهقات بكائي الحارق أشعر بآلم رهيب يحرق قلبي كانت ضربات قلبي تؤلمني بشدة و كأن هناك يد شخص ما تقبض على نابضي تريد إنتزاعه خارج صدري .

تآلمت بعلو أُمسك بيساري فالشعور بالآلم مُريع أكاد أستفرغ قلبي و يزداد الآلم كلما مرت ذكرى هذا اليوم الشنيع أمام عيناي ، جثوت على ركبتاي أبكي آلمً و أمسك بصدري الذي أشعر به يُثقب من ضربات قلبي السريعة .

و لم أشعر إلا و بالآنسة غيمة تبكي جواري تُربت على ظهري و تُلقي على مسمعي بعض الكلمات المهدئة بينما عيناها معلقة على باب غرفة سام .

و بعد وقت لا أعلم مدته هدأ بكائي و آلمى قليلاً لأعتدل بجلستي على الأرض أزفر أنفاس سريعة متقطعة تخرج من بين شهقاتي الباكية و مازالت هى بجواري تبكي في صمت و تنظر لي ..

هدأت انفاسي أخيراً لتبتسم هى نحوي برفق بالغ

- ما رأيك بكوب من شاي النَعْناع ؟

سألتني لأحرك رأسي كأجابة بنعم ، و غادرت هى للمطبخ

بهدوء و عادت بعد دقائق بأكواب الشاي كنت على ذات حالي أجلس على الأرض و الدموع تملئ وجهي .

كان هناك غطاء مهمل على جانب أحد الكراسي أحضرته الآنسة غيمة لتضعه حولي بعدما وضعت أكواب الشاي على الطاولة أمامنا لتجلس بجواري على الأرض و مازالت تنظر نحوي بذات النظرات العطوفة ، ناولتني كوب الشاي و طلبت مني شربه وهو دافئ حتى يهدئ آلمي قليلاً

لم أُخبرها إنني اتألم و لكنها تعلم .....

مرّ ما يقارب النصف ساعة و أنا أبكي بصمت احتسي الشاي و الذي بالمصادفة هدئ دواخلي قليلاً ، و أخيراً نطقت أُخبرها عن رغبتي بالحديث .

أرغب بإستكمال سري أريد أن ألفظ جل معاناتي في مرة واحدة لربما أرتاح و لو قليلاً .

- تفضل أنا معك تحدث بقدر ما ترغب أنا أسمعك بكل جوارحي .

لما على كل كلماتها أن تَمسس مشاعري بهذا الشكل لما هى جيدة بالمواساة رغم قلة حديثها !!

لما تذكرني بأمي التي أفتقدها كثيراً و لكني لا أستطيع العودة لها لما ؟ لما ؟؟

إستأنفت حديثي .. كنا نائمين أنا و روزا التي إستيقظت على آلم مفاجئ و هو كان آلم الوضع ، هرعنا نحو المشفى كنت أتخبط لا أعلم كيف أتصرف فزوجتي تصارع الآلم و يبدو أن ابني متعجل في الخروج للحياة ، ضحكت بعلو وسط حزني فسام دائمًا متحمس و على عجلة من أمره .

وصلنا أخيراً للمشفى و كان في إنتظارنا الطبيب و نقلت روزا إلى غرفة العمليات سريعا ، كنت أنتظر خارج الغرفة و دواخلي تتآكل من توتر الإنتظار كان كل من والداي و والديها بجواري لكن عقلي و قلبي بالداخل مع حبيبتي و ملاكي الذي سيخرج قريباً للحياة ..

مر وقت طويل و إزداد قلق الجميع و بعد فترة خرجت ممرضة تحمل سام ركضت نحوها في لهفة اسأل عن حال زوجتي لتعتذر لي بأن حالتها خطرة و الطبيب يحاول إصلاح الوضع ، عقب إنتهاء جملتها شعرت بهدوء خانق حولي لا أرى أياً ممن كانوا معي لا أسمع أي أصوات كانت والدتي تحادثني و لكنى لا استمع ولا أفقه حرف واحد مما تتفوه به..

كان نظري و سمعي و جل جوارحي مصوبة نحو الغرفة القابعة بها زوجتي ، لم ألقِ و لو نظرة خاطفة حتى على ابني المولود حديثاً و لا أعلم أين ذهب رغم لهفتي لرؤيته كانت لهفتي للإطمئنان على زوجتي أكبر .

و بعد مدة طويلة من الإنتظار خرج الطبيب أخيراً ، كان يحمل نظرة أرهبتني ليتفوه بأكثر جملة مرعبة في الحياة

{ أعتذر بشدة حاولنا انقاذها بشتّى الطرق و لكنها أُصيبت بنزيف حاد أعتذر تعازي البالغة فقد فقدنا المريضة }

أغمضت عيني بشدة أُطبق جفناي و أزفر بحدة أحاول محو تلك الصورة من أمام عيناي لتنهمر دموعي بصمت مرة آخرى ، ظللت مغمض عيناي لفترة وجيزة أُقبض على الغطاء حولي بشدة و عنف بالغ و هى فقط تنظر لي بصمت كانت تعابير وجهها غير مقروءة بالنسبة لي فـأنا بالفعل مشتت و محطم و ما يشغل تفكيري هو أن أتماسك حتى أكمل ما بدأته ..

تابعت الحديث .. عقب سماعي لتلك الجملة فقدت وعي و إستيقظت في اليوم التالي و والدتي تجلس بجواري بثيابها السوداء حداداً على فقيدتنا و دموعها الجافة على وجهها لتتمسك بيدي بشدة ذلك ما جعلني أفق من غفلتي فكنت أعتقد

أن ما حدث مجرد كابوس مرعب .

اَفلتّ يدها لأركض في ممرات المشفى اتخبط هنا و هناك بحثاً عن الطبيب و حينما وجدته لم أعي على نفسي عندما تمسكت بياقته أهزه بكل عنف و بضعف بالغ كنت أصرخ به أين زوجتي

كنت أطلب منه إنقاذها حتى بمعرفتي بمغادرتها ، تَكاثر من حولي الأشخاص و أنا لا أعي شئ سوى قبضتي الممسكة بالطبيب ، ابعدوني عنه بجهدٍ بالغ و أنا فقط أصرخ و أبكي .

إنتهى الدفن و العزاء و أنا على حالي أبكي و أصرخ و لم يكن يُسكتني قليلاً سوى جرعة كبيرة من المهدئات .

رفضت رؤية صغيري رفض تام كنت أتهمه إنه السبب بوفاتها

وصفته بالقاتل بينما هو صبي بالمهد في عمر أيام .....

إنعزلت بمنزلي عن العالم رفضت لقاء أي شخص من العائلة و الأصدقاء كانت أيامي عبارة عن بكاء و نحيب ، دوماً ما كانت تهاتفني والدتي و والدة روزا يرجونني أن أرى سام فهو بحاجتي كما أنا بحاجته و لكني كنت أصرخ رافضاً كنت دوماً

أُخبرهم لا أرغب برؤية هذا القاتل كنت انعت ملاكي الصغير بالقاتل .

أجهشت في البكاء بينما أحكى لها عن تلك الفترة فـإبتعادي عن سام كان مؤلم مثلما كان آلمي من فراق روزا ، غطيت وجهي بكفاي أجهش بالبكاء على تلك الأيام السقيمة و الثقيلة على قلبي ، مسحت دموعي بخشونه لأستكمل حديثي عن سري الكبير و المؤلم ..

مرت ستة أشهر و أنا منعزل في منزلي لا أتحدث إلى أحد لا أخرج لا أفعل أي شئ سوى البكاء كان جميع أصدقائي و أقاربي يترددون على منزلي للإطمئنان علي و لكني لم أُجب أحد .

و في يوم سقطت في النوم بعد نوبة بُكاء كالعادة لأرى روزا في حُلمي

و كانت تلك المرة الأولى .. ابتسمت و أنا أتذكر ملامح زوجتي الراحلة .....

كانت تطلب مني الذهاب إلى سام و تُعاتبني عن تأخري على ملاكها ، إستيقظت في تلك الليلة و شعور مريع داهمني بكم أنا أب سئ أهملت طفلي الرضيع و تركته وحيداً كما تركته

والدته الفرق هنا أنها تركته مرغمة بينما أنا تركته بإرادتي .

إتخذت قراري حينها إنني في الصباح سوف أذهب لرؤية طفلي ، هندمت مظهري قدر الإمكان فقد كنت في حالة يُرثى لها جسدي هزيل الهالات السوداء تملئ وجهي لحيتي طويلة و مظهري مُبعثر ، كنت أسير في خطىً بطيئة أقدم خطوة لأتراجع خطوتين حتى وصلت لمنزل عائلة روزا حيث يقيم معهم سام .

كانت تلك المرة الأولى التي أراه بها منذ ولادته كنت مضطرب و خائف بداخلي صراع بين مشاعر الأبوة و مشاعر الحبيب الذي فقد حبيبته ، إستقبلتني والدة روزا بعناق طويل كانت تبكي بصمت تتمسك بكفي تسحبني نحو غرفة سام ، وقفت على باب الغرفة أسترق النظر نحو الملاك النائم بسلام مُتمسك بدمية كبيرة تلك الدمية كانت آخر هدية له من والدته قبل رحيلها .

حاولت و حاولت و حاولت حتى أكسر حاجز خوفي و أتقدم نحو طفلي و لكن من أول نظرة ألقيتها عليه خَسرت دِفاعاتي و سقطت أرضاً أجهش في البكاء فقد كان نسخة صغيرة منها كان يشبه روزا كثيراً كان فائق الجمال يشبه الملائكة بحق ،

كنت أنظر له بشرود تام أضع كفي على فمي حتى أكتم شهقاتي كيلا يستيقظ الصغير فزعاً بسبب هذا الرجل الباكي أمامه و الذي لم يره من قبل .

هدّأت نفسي بصعوبة لأغرق وجهه و كفوفه الصغيرة بقبلاتي ، و بصعوبة أخذتني جدة سام خارج غرفته لتحاول تهدأتي ، كانت تحكي لي عن ابني و صفاته و عمّا يحب و يكره كنت ابتسم بين دموعي فهو يُشبهني في الكثير من التصرفات ، عاتبتني كثيراً على إهمالي لابني بينما هو بحاجتي فهو لا يملك غيري ، في ذلك اليوم لم أقو على إنتظار إستيقاظه فرؤيته مستيقظ ستؤلم قلبي كثيراً لذا هربت كالعادة هربت من رؤيته و من حديث والدة روزا المعاتب .

صمت قليلاً أسترد أنفاسي الهاربة إثر بكائي أزدرد ريقي بصعوبة شديدة أشعر بالثقل على قلبي و بين أضلعي ، إستأذنت الآنسة غيمة حتى أغسل وجهي و اطمئن على سام

فهو وحده من مدة طويلة .

ذهبت لأرى صغيري وجدته نائمًا يحتضن دميته و كانت خلفي الآنسة غيمة تسترق النظر بهدوء ، عدّلت من وضعية سام الفوضوية و وضعت الغطاء على جسده فالجو بارد للغاية و نظرت لها أُخبرها عن دمية الباندا هدية روزا لسام من قبل

ولادته ، كانت تنظر له بحب إقتربت و وضعت قبلة على جبينه تربت على كتفه أسفل الغِطاء و ابتعدنا عائدين إلى أماكننا .

أعتذر لكِ آنسة غيمة فقد تحدثت كثيراً و بالغت في البكاء ، و لكنها نفت بشدة تُخبرني أنها تستمع لي و سوف تستمع لي دائمًا و طالبتني بإستكمال سري .....

عدت لمنزلي في ذلك اليوم و أنا لا أعرف كيف أتصرف كيف يمكنني ترك سام كل تلك المدة فهو لن يتعرف علي إذا ما رأني

كنت في حيرة من أمري هل أاخذه للعيش معي ام أتركه يعيش برفقة جديه فهما أجدر بمراعاته مني

قضيت الثلاثة أيام التالية تائه في تفكيري حتى قررت الذهاب لطبيب نفسي ربما تصبح حالتي أفضل ربما يساعدني في إتخاذ قرار ، و لكنه لم يساعدني ابداً .

ظللت لمدة ثلاثة أشهر أتردد على منزل والدة زوجتي أقضي وقتي برفقة سام الذي مع الوقت تعلق بي و إعتاد على وجودي بينما أنا كنت اؤنب ذاتي على ترك هذا الملاك وحيداً

طوال المدة الفائتة .

كنت أتناوب في زيارة سام و زيارة الطبيب النفسي أتجرع دوائي بانتظام و ما كان دوائي سوى الكثير من المهدئات التي صنعت مني شخص غريب عني كنت هادئ خارجياً بشكل مريب عكس ذلك الخراب بداخلي ..

و أخيراً قررت أخذ سام إلى منزلي ، لا يمكنني وصف صعوبة إتخاذ هذا القرار فقد كنت خائف و مضطرب كنت أخشى أن يصيبه سوء و هو برفقتي و لكني جازفت و أخذته إلى المنزل إلى منزله حيث يجب أن يقتن برفقة والده .

في البداية عانيت من التعامل معه و الإعتناء به كما ينبغي و عانى هو من التكيف و الإعتياد على المنزل و عدم وجود جديه بجواره فهو مُتعلق بهما كثيراً ، تناوب والداي و والدا روزا على زيارتي و مساعدتي في الإعتناء بسام .

رغم مرور الوقت و تناولي لجرعات الدواء بإنتظام إلا أنني كنت مُحطم كانت جدران المنزل تضيق علي و تخنقني ذكرياتي مع روزا ، حاولت كثيراً تجاوز تلك الحالة و لكني فشلت .

إستمر الوضع هكذا حتى أتم سام عام من عمره و الذي

بالمصادفة يكون تاريخ وفاة والدته أيضاً

والدته التي لم تره رغم تشوقها لذلك ، تنهدت بحرقة تتزاحم بداخلي الأفكار و الذكريات رأسي يَنبض بألم و عيناي تلسعني بشدة من كثرة بكائي الليلة و لكني رغم ذلك أرغب في البوح بسري بأكمله ....

حينها قررت المغادرة ، مغادرة المنزل و الذكريات مغادرة الأهل و الوطن مغادرة آلمي للأبد ، كنت مشتت لا أعلم إلى أين أذهب أو ماذا أفعل ؟

قضيت يوم كامل أحاول إختيار دولة أو مدينة أرحل إليها تاركاً خيبتي و وجعي خلفي و بالمصادفة وقع إختياري على هذه المدينة التي تبعد عن وطني آلاف الأميال و رغم الإختلاف الشاسع بينها و بين مدينتي إلا إنني قررت الرحيل إليها فهى مناسبة لتربية ابني بهدوء و محاولة الشفاء .

جهزت أوراقي و كل ما أحتاج إليه و لم أُخبر أحد عن رحيلي كنت خائف من منعهم لي كنت خائف من تشبثهم بسام.

أخبرتهم برسالة عقب صعودي الطائرة و أغلقت هاتفي ، كنت أجلس على كرسي الطائرة و بين يداي ملاكي و قلبي

ينبض بعنف خائفاً من تلك الخطوة الكبيرة خائف من ردة فعل عائلتي و لكني شجعت نفسي .

وصلت إلى هنا و أنا لا أعلم أي شئ بالمنطقة حتى لم أحجز مكان أُقيم به ، أول ما رأيته كان مقهى السيد كلاريس ، كنت اجلس بالداخل و عيناي تجوب المكان و الأشخاص من حولي و سام نائم بين ذراعاي ، إستقبلني السيد كلاريس بابتسامة كبيرة و كأنه لاحظ تشتتي و إرتعاش نظراتي ، أحضر غطاء لسام فالطقس كان بارد بعض الشئ رغم أننا في نهاية فصل الربيع ، كان لطيف للغاية شرحت له وضعي بلكنة بالية

و له جزيل الشكر ساعدني كثيراً حجز لي غرفة بأحد الفنادق الصغيرة بالجوار و في اليوم التالي عرفني على السيدة كيارا صاحبة البناء و استأجرت شقتي اللطيفة هاته ، بالطبع لا أستطيع وصف غضب عائلتي من فعلتي خاصة بسبب عدم إتزاني النفسي فقد واجهت العديد من المشاكل و الإعتراضات الشديدة و لكني رغم ذلك أُغرمت بهذا المكان و إستقريت به .

تعرفت على السيدة مادلين و هى تملك ثلاثة أطفال أصغرهم يصغر سام بعدة أشهر و الوسطى تكبره بعام و الأخ الأكبير يكبره بثلاثة أعوام ، السيدة مادلين لطيفة و حنونة للغاية دائما ما تعتني بسام كما ساعدتني كثيراً بتربيته و التعامل معه

فخبرتي كانت لا شئ بعالم الأطفال و الأبوة ، كما أصبح أطفالها الثلاث أصدقاء سام المقربون .

إستقريت هنا منذ ثلاثة أعوام و أعمل بالعاصمة و لكني أقوم بأغلب أعمالي من المنزل فـأنا لا أستطيع ترك سام بمفرده و حالياً أنا في اجازة .

سام يحادث جديه و جدتيه دائماً فالوضع بيننا تصلح كثيراً بعد فترة من هروبي من الوطن وإستقراري هنا و لكن بالنسبة له والدته هي الملاك الحارس الذي يراقبه و يحميه من السماء .

أخذت نفس عميق لأزفره براحة ابتسم إبتسامة تبدو باهتة بعض الشئ فـأنا مرهق للغاية ، لأنظر للآنسة غيمة أخبرها بإنتهاء سري .....

غيمة

كان يسرد السيد ليل مُعاناته و سره الكبير الذي آلم قلبي أنا أيضًا ، كان يبكي و ينوح بطريقة مؤلمة ففراق حبيبته صعب فبحسب روايته ما بينهما كان أعظم من الحب ، كنت استمع له و لكن جزء من قلبي يُذكرني بحالي و جُرحي و جزء من انتباهي كان عِند سام .

حكى لي السيد ليل عن زوجته الراحلة روزا كان يحاول التماسك رغم بكاؤه و شهقاته إلا أنه يرغب بالتماسك ، كان يجاهد حتى يكمل حديثه و لكن عند وصوله للحظة وفاة زوجته إنهارت دفاعاته و سقط جاثياً على الأرض بحرقة مؤلمة حينها شعرت بقلبي يتهاوى آلماً على تلك الشابة الصغيرة التي رحلت و تركت رضيعها و حبيبها تائهان بلاها.

كان معظم تركيزي عند سام ماذا لو رأى ابيه بتلك الحالة ، لم أشعر بنفسي إلا وأنا أمامه أطلب منه البقاء هادئاً لأن والده يجري إتصالاً هاماً ، أخبرته إني سأوصد باب الغرفة و إذا أراد الخروج يدق الباب من الداخل .

أوصدت باب الغرفة و عدت لذلك الأب المكلوم كان يبكي بحرقة شديدة مؤلمة لمسمعي حاولت تهدئته و إخباره إني بجواره ، بعد فترة إسترد أنفاسه الهاربة و اعتدل بجلسته و طلبت منه أن أعد له بعضٍ من شاي النَعْناع كانت محاولة بائسة مني لتهدئته و تهدئت نفسي ، فررت هاربة إلى مطبخه فـأنا لم اعد أحتمل أريد ترك العنان لبكائي الذي أُحاول حبسه منذ بداية حديثه .

بكيت كثيراً و أنا أبحث عن أعشاب النَعْناع و أعد المشروب و عندما إنتهيت جففت وجهي من دموعي و وضعت ابتسامتى أواجه بها هذا الرجل الذي يُكافح من أجل الحياة و الثبات .

إحتسينا الشاي بصمت و هو كان شارد بذهنه كنت أشعر به يرغب بتكملة حديثه مهما كلف الأمر فهو مهما بكى و تألم يعود ليروي لي تفاصيل ما حدث يرمي بثقل صدره .

و أنا أدرك هذا الشعور المريع فقد عايشته منذ بضعة ساعات و لكنى سوف أستمع له حتى يَنهي كامل حديثه مهما كلف الأمر ، و في منتصف الحديث قرر أخيراً الإطمئنان على سام و أنا لم أمنع نفسي من التسلل خلفه كنت أرغب في الإطمئنان عليه أنا أيضاً و لحسن الحظ وجدناه نائمًا معانقاً لدميته .

كان ينام بفوضوية و وجه يحمل بعض الحمرة الرائعة ، كالملاك هو أود لو احتضنه بين أضلعي و تخبئته عن العالم أجمع هذا الصغير البريئ الذي عايش الكثير أكثر مما يحتمل .

عدنا إلى أماكننا نستكمل هذا الحديث الصعب حتى إنتهى أخيراً السيد ليل من سرد سره الكبير و تنهد براحة فالحديث عن الفراق مؤلم ، حينما انتهى أدركت أن الساعة تجاوزت الحادية عشر مساءً يجب علي العودة إلى المنزل فالوقت تأخر كثيراً إستأذنته بالرحيل و طلب مني إيصالي و لكني رفضت بلطف فلا نستطيع ترك سام بمفرده .

غادرت و أنا أحمل كماً هائلاً من المشاعر ، مشاعر متضاربة ما بين الحزن و الآلم و الكره

كره الفراق و الموت المفاجئ الذي يَسلب منا أحبائنا دون سابق إنذار ، و الغضب الغضب على تلك الحياة التي أجبرتنا على مغادرة كل شئ و الرحيل بحثاً عن بعض الراحة

و السعادة بسبب قضائي الوقت مع ملاكي سام و سعادة أيضاً لإفصاح السيد ليل عمّا يؤلمه فربما هذا الحديث برغم إستنزافه لطاقته و دموعه يُكسبه بعضاً من الراحة في الأيام المقبلة .

وصلت أخيراً للمنزل ألقي بمفاتيحي على أقرب كرسي و جررت قدماي حتى غرفتي أرمي بجسدي المنهك على الفراش فما حدث لي اليوم و الأمس كثير .. كثير جدًا و كل تلك المشاعر التي تخالجني أكثر من طاقة جسدي و تفوق قوة إحتمالي ، أغمضت عيناي أُربت على قلبي حتى تهدء نبضاته قليلاً و شئ فشئ أُسدل جفناي بإنهاك تام .....

إستيقظت في اليوم التالي متعرقة و حرارتي مرتفعة يبدو أني أُصبت بالحمى جراء تلك المشاعر التي إخترقت جسدي دفعة واحدة ، أشعر بثقل أطرافي و برد شديد إجتاح أوصالي ، ظللت اتأمل السقف لمدة لا أعلمها حتى غلبني النعاس مرة آخرى .

إستيقظت و لا أعلم كم مرّ من الوقت و لكني جاهدت نفسي للخروج من الغرفة لأتناول بعض الدواء كي تنخفض حرارتي ، تناولت ما وجدته من طعام و أخذت العديد من الأدوية و عدت أدراجي إلى غرفتي استلقي على فراشي و أتدثر جيداً بغطائي أغرق في ثبات عميق .

نمت طويلاً حتى صباح اليوم التالي إستيقظت و قد إنخفضت الحمى و لكن جسدي منهك و ليس لدي طاقة للحركة ، بعد

مُعاناه مع النهوض من الفراش أخيراً نهضت لأصنع بعض الحساء حتى أسترد عافيتي ، إنتصف النهار و ذهني شارد ف حديث السيد ليل تُرى كيف حاله الآن ؟

أنا أصابني المرض ، اتمنى أن يكون هو بخير و متمالك قليلاً لأجل سام فنحن لم نتواصل مذ تلك الليلة

مرّ الوقت و غفوت باكراً فجسدي مازال متعب و أشعر بالإجهاد و العلاج الوحيد هو النوم و الكثير من النوم ، أيقظني صوت هاتفي المزعج و الذي قلما يرن كنت ناعسة للغاية نظرت حولي و مازال الوقت ظلام الشمس لم تشرق بعد أمسكت بهاتفي لأتفاجئ بالمتصل .....

كان السيد ليل

- مرحباً آنسة غيمة آسف على إزعاجك في هذا الوقت الباكر.

اوه أهلاً سيد ليل كيف حالك ؟ لا عليك لم تزعجني ابداً .

كان صوته متوتر و محرج و أنا بالفعل أشعر بالنعاس عقلي يأبى التفكير .

- آنسة غيمة هل يمكنني أن اطلب منك طلب كبير بعض الشئ ؟

بالطبع تفضل

- هل بإمكان سام البقاء لديكِ اليوم فانا لدي عمل هام في العاصمة و يجب علي الذهاب على الفور و السيدة مادلين خارج المدينة و لا يوجد مكان آخر اترك به سام و أنا مطمئن .

اجل بالطبع سيد ليل سوف أُرسل لك العنوان في رسالة نصية ، أنا في إنتظارك .

- شكراً لكِ كثيراً

لا عليك ، أنا في إنتظاركم

أغلقت الهاتف أنظر حولي و أرمش بعنف محاولة مني بطرد نعاسي حتى أستوعب ما يحدث ، الساعة الخامسة صباحاً و ملاكي الصغير سوف يقضي معي اليوم إلهي هل أنا في حلم هل هذا الهذيان بسبب الحمى ؟!!

ركضت خارج الغرفة أغسل وجهي على عجل فكلها دقائق

معدودة و يأتي ضيفي المميز أول ضيف استقبله في منزلي مذ آتيت لتلك المدينة .

بعد حوالي عشرة دقائق دق باب منزلي ، كنت أخطو إليه في لهفة فهناك ملاكي الصغير يقبع خلفه

فتحت الباب و الإبتسامة تكاد تشق وجهي إلى نصفين من السعادة لأجد السيد ليل يحمل سام و هو نائم متعلق بعنق والده.

- صباح الخير أعتذر بشدة عن الإزعاج و لكن لم يكن أمامي حل آخر .

صباح الخير لا تعتذر بل أنا علي شكرك على المفاجأة السّارة بحضور سام .

- حسناً هو نائم فالوقت ما زال باكراً اتمنى ألا يزعجك فهو صاخب في بعض الأحيان ، سأحاول العودة من العاصمة باكراً قدر المستطاع .

لا عليك انهِ أعمالك و خذ وقتك سام بأمان معي ، قلتها مرحبة مبتسمة و حملت سام بين أحضاني ليعقد ذراعاه حولي و يغمغم بكلمات غير مفهومة و لكنه كان قابل للأكل حقاً في تلك اللحظة .

ترك والده لي حقيبة صغيرة بها بعض إحتياجات سام من ملابس و كتب التلوين فهو قام بإحضاره لي بمنامته .

ذهب السيد ليل و أغلقت أنا بابي بسعادة عارمة أكاد أرقص سعادة بسبب الملاك القابع بأحضاني ، و ضعته بسريري و وضعت فوقه غطاء سميك فالجو بارد و ذهبت أنا اتفقد ما لدي حتى أعد إفطار لائق بملاكي و لكن لسوء الحظ لم أجد أي شئ صالح للأكل فأنا لم أتسوق منذ مدة طويلة ، لذا قررت العودة للفراش و النوم بجانب ملاكي حتى يستيقظ و نذهب لمقهى السيد كلاريس نتناول فطورنا براحة .

حاولت العودة إلى النوم و لكن عبث فقد هرب نُعاسي بسبب حماسي لوجود ملاكي الصغير في منزلي ، كنت أراقبه أثناء نومه ملامحه الملائكية و جسده الصغير ، تلك الحمرة اللطيفة التي تكسو وجنتيه و أنفه و كفيه الصغيران .

كانت تراودني الكثير من المشاعر المختلفة و أنا أنظر إليه و اتابع حركاته و تقلباته اللطيفة على الفراش حتى غلبني النعاس بعد وقت ليس بالقصير .....

ليل

أنهيت حديثي بأعجوبة كونية ، كنت أسرد أحداث حياتي أو سري الكبير كما اسميته على مسامع الآنسة غيمة و التي كانت منصتة بهدوء شديد يلمع بعيناها بريق من الدموع تحبسها أحياناً و تطلق لها العنان في أحيان آخرى .

تحدثت و كأنني متلهف للحديث متلهف لإلقاء هذا الثقل عن كاهلي ، بكيت كثيراً و ضعفت كثيراً و لكنني أفضل الآن اشعر بشعور مريح و كأن آلمي خف وزنه و ضغطه على قلبي ، غادرت الآنسة غيمة و كان الوقت متأخر بعض الشئ آنبت نفسي كثيراً إنني لم اوصلها حتى منزلها و لكن ليس باليد حيلة لا يمكنني ترك سام بمفرده .

في تلك الليلة عدت لغرفة سام و راقبته كثيراً كنت أراقب كل حركة له و كل نفس يزفره بهدوء شديد لم أبك أو انتحب كما العادة و لم أنم أيضاً فقط قضيت الليل في مراقبة تفاصيل ابني.

إنقضى الليل ببطئ شديد و أشرقت السماء أخيراً و إستيقظ سام في التاسعة صباحاً لنقضي يوم هادئ بلا أي أحاديث أو مشاكسات يبدو أن ابني إستشعر مزاجي الغريب كعادته و لم يرغب في إزعاجي .

إنقضى يومان لم يزرني النوم فيهما بتاتاً كنت مرهق من تدفق المشاعر عبر كلماتي أثناء حديثي للآنسة غيمة ، لم نتحدث ابداً طوال اليومين الفائتة و لم أخرج من منزلي و بالتالي لم نتصادف

تُرى كيف حالها ؟!

لابد من أنها متعبة أيضًا فهى حساسة و أن تتحمل سري و سرها لهو لشئ ثقيل عليها ، أخيراً حل المساء و نمت باكراً أنا و سام فالإرهاق و قلة النوم تغلبت على و لم أشعر بشئ إلا مع رنين هاتفي المستمر و الذي يبدو أنه يرن منذ ساعات .

كان إتصال من زميل لي بالعمل يخبرني أنهم بحاجتي بشكلٍ هام و يجب قطع اجازتي و الذهاب إلى العاصمة على الفور ، كانت الساعة الرابعة و خمس و عشرون دقيقة صباحاً و لا مجال للتخاذل أو الفرار من العمل هذه المرة صحيح أن وضعي المالي جيد جداً و لا أحتاج لراتب العمل و لكني

أحتاج للعمل نفسه كي أشعر إني على قيد الحياة .

لا أعلم كيف أتصرف و أين اترك سام في مثل هذا الوقت فالسيدة مادلين و ابنائها خارج المدينة ، ترددت كثيراً و لكن لا مفر لا يوجد سوى الآنسة غيمة اتمنى أن توافق على إستضافة سام لديها اليوم .

هاتفتها و بالطبع كانت نائمة فصوتها النعس و تجهمها في الإجابة أكد لي ذلك صمتت لحظات و أجابت مبتهجة .. **بالطبع يمكنك إحضاره أنا في إنتظاركم** .

أعتقد أنها كانت تستوعب المفاجأة فقط ، كنت قد حضّرت حقيبة صغيرة وضعت بها بعض من احتياجات سام و كتب الرسم خاصته حتى لا يزعج الآنسة غيمة ، ألبسته معطفه و هو نائم بالطبع فالوقت باكر للغاية ، خلال ذلك الوقت كانت الآنسة غيمة أرسلت لي عنوان منزلها بالتفصيل .

حملت ابني و توجهت إليها مسرعاً فيجب على الوصول إلى عملي في أسرع وقت ، وصلنا أخيراً للبناية و التي تقع بالقرب من منزلنا ، استقبلتنا بإبتسامة عريضة و أخذت الملاك النائم بين ذراعي لتريح جسده الصغير على الفراش

أخبرتني ألا أقلق عليه و إنها سوف ترعاه جيداً .

غيمة

شعرت بحركة بجواري فتحت عيناي لأجد سام قد أستيقظ يجلس بمكانه بعيون نصف مغلقة يحاول أن يعي ما حوله ، كنت أراقبه بحب أنتظر أن يفيق و يسترد وعيه كاملاً .

نظر حوله بتعجب ليعي أن تلك ليست غرفته نظر بجانبه ليجدني مبتسمة ، صاح بحماس **ميمييييي** و ارتمى بأحضاني يعانقني بقوة يطبع قبلة لطيفة على وجنتي بثغر السكر هذا .

عانقته بشدة فـأنا افتقدته كثيراً في اليومين الفائتين و بعدما حررته أخيراً من هذا العناق الوثيق سألني عن سبب وجودي بجانبه و أين نحن

أخبرته عن مغادرة والده للعمل و كنت قلقة من ردة فعله أن يحزن أو يشعر بالسوء لبقاءه معي وحدنا مهما كان علاقته بي ليست وثيقة لدرجة بقاءه معي بمثل هذا الشكل المفاجئ ، و لكنه لم يبدي ردة فعل مما اقلقني أكثر ..

تورد وجه سام و لاحظت تردده في نطق ما يدور بعقله

لأبادر أنا بسؤاله

ما بك صغيري ؟ هل وجودك معي طوال اليوم مزعج لك ؟

- لاااا ابداً و لكن ميمي هل يمكنك مساعدتي في غسل وجهي و أسناني بابا دائماً يساعدني و يخبرني إني صغير للغاية للعبث بالماء بمفردي .

طلب مني بخجل شديد و لم يكن مني سوى الضحك بشدة فهو صالح للأكل بتعابيره تلك كما أنها مرتي الأولى في مساعدة طفل صغير .

إنتهينا من غسل أسنانا و وجوهنا و ابدلت لسام ملابسه أخبره بأمر إفطارنا بالخارج في مقهى السيد كلاريس مما جعله يقفز بسعادة و حماس في الأرجاء ، و لم أنس إستأذان والده أولاً برسالة نصية .

ذهبنا إلى المقهى تغمرني سعادة عارمة و أنا أمسك بيدي تلك الكف الصغيرة لملاكي الصغير سام فهو طفل رائع و مبهج ينثر حولي سروراً مفرطاً بأحاديثه و كلماته العشوائية .

في طريقنا للمقهى و الذي يستغرق خمسة عشر دقيقة كنت غارقة في أفكاري و مشاعري هل ما أشعر به الآن هى مشاعر الأمومة ؟!

هل هذا ما كانت تشعر به أمي دائمَا وهى ممسكة بيداي ؟؟

في تلك اللحظة ادركت لما أمي كانت متعلقة بي بشدة فهى مشاعر لا يمكن وصفها ، ربما سام ليس ابني حقاً و لم يسبق لي الزواج حتى و لكن تغمرني مشاعر لطيفة تجعل من قلبي يحلّق في أفق السماء البعيدة و بشكلٍ مبهر .

عند وصولنا للمقهى استطعت رؤية ملامح و نظرات التعجب من السيد كلاريس و السيدة آرييننا بالطبع لمن الغريب رؤيتي مع سام بمفردنا .

أسرعت السيدة آرييننا نحونا و عانقت سام و ربتت على رأسه لتنظر لي نظرات مستفهمة وسط حماس سام لمحادثة العمة آري كما يلقبها ....

مرحباً سيدة آرييننا

- مرحباً آنسة غيمة ، أرى أنكِ تملكين رفقة اليوم

قالتها لتبتسم نحو سام المبتهج

نعم فالسيد ليل إضطر للمغادرة باكراً و ترك سام في رعايتي لليوم و بكل صراحة هذا من حسن حظي همست لها بجملتي

الأخيرة لنقهقه سوياً حتى آتى السيد كلاريس و حيا كلانا و أخذ طلبنا و الذي كان كالمعتاد دائماً .....

إنتهينا أخيراً من تناول الإفطار و لكنى لاحظت هدوء سام الغير معتاد و تلفته حوله ينظر هنا و هناك أعتقد أن هناك شئ ما يشغل عقله الصغير .

ما بك صغيري ؟ أتريد شئ إضافي جانب إفطارك يمكنك طلب ما تشاء لا تخجل ، كان متردد في جوابي كثيراً

- ل لا و لكن ميمي هل يمكنني محادثة بابا فـأنا إشتقت له و هو دائماً يودعني قبل مغادرته .

لاحظت الدموع التي بدأت تتكون في عيناه إلهي هذا الصغير الحساس سوف يُهلك قلبي من فرط مشاعره .

بالطبع عزيزي يمكنك مهاتفته و لكن إذا كان مشغولاً بالعمل ربما لن يجيب لذا سنحاول مرة آخرى بعد قليل حسناً صغيري

كنت متوقعة إنشغال والده فربما لن يُجيب و شعرت بالخوف من كسر قلب هذا الملاك الصغير المشتاق لوالده ، إتصلت بالسيد ليل و أعطيت الهاتف لسام و من حسن حظي أجاب السيد ليل فوراً يبدو أن الأب متلهف لابنه أيضاً .

إنتهت مكالمة سام بالكثير من القبلات لوالده و غادرنا المقهى أخيراً لنذهب لنتسوق أغراض المنزل اللازمة ، سعادتي لا يمكن وصفها كنت كأم فخورة بطفلها و سام يتحرك بين الأرفف و يجلب ما يحتاج إليه كما طلب منه ، بالطبع كان جميعها حلوى و مقرمشات و غيرها و لكن لا يهم يمكنني شراء المكان بأكمله إذا رغب سام بذلك .

كانت ضحكاتنا تملئ المكان و تلفت النظر لي كثيراً فهذه المرة الأولى التي يراني بها عمال المكان ابتسم حتى فـأنا دائما وحيدة وجهي يخلو من التعابير ، إنتهينا أخيراً و كنا قمنا بشراء الكثير و الكثير يوجد بين الأغراض الكثير لا أعلم ماهية إستخدامه حتى و لكنه من إختيار سام لذا لا نستطيع إرجاعه ابداً .

عدنا أخيراً إلى المنزل مُنهكين من التسوق و لكن مفعمين بالسعادة ، أفرغنا كل المنتجات التى قمنا بشراؤها و فتحت جميع نوافذ المنزل حتى يتجدد هواءه فالطقس اليوم صحو و مشمس نوعاً ما على غير العادة .

سام كان منبهر من أشكال النباتات و الأزهار التي أعتني بها و المنتشرة في أرجاء المنزل و الشرفات لذا أول ما فعلناه

كان الإعتناء بالزهور و سقايتها .

و تالياً كان صنع الكعك بالطبع كعكة التوت الأزرق ، سام كان يساعدني كثيراً بالطبع تحول المطبخ إلى ساحة حرب بسبب تلك المساعدات الملائكية الصغيرة و لكن و لأول مرة كانت الضحكات و السعادة تملئ أرجاء منزلي ، كان هناك شعور غريب و كأن وجود سام أضاف الحياة لي لتلك الروح الغائبة و للمنزل المهجور رغم ساكنه .

كان هناك شعور عامر بالإطمئنان ضحكاته و كلماته الصغيرة و المبعثرة آحيت روح هذا المنزل الكئيب ..

وضعنا الكعك و البسكويت الذي صنعناه سويا بالفرن و أخيراً اتجهنا لصنع الغداء بعد أن سَرقنا الوقت و الساعة الآن تجاوزت الرابعة مساءً لذا فقط صنعت بعض اللحم المشوي مع الكثير من الخضروات المشوية فلدي طفل هنا يحتاج إلى غذاء سليم .

أنهينا الطعام بالكثير من الأحاديث اللطيفة فسام طفل نشط و متحمس على الدوام ، شاهدنا معاً فلم رسوم متحركة بينما نتناول الكعك و البسكويت كان سام جالس بجواري أحتضنه لي بشدة و هو مستلق بجسده على الأريكة ، كان أجمل شعور في الحياة للحظات تخيلت نفسي إذا تزوجت و أصبحت أم هل

سيكون شعوري مثل الآن ؟!!

إنتهى الفلم أخيراً و ضممت سام بقوة و طبعت قبلة على وجنته القطنية تلك و التي دائمًا ما تغريني أن أقبله

سام صغيري هل تريد النوم قليلاً ؟ الوقت مساءً الآن و لكن قيلولة صغيرة لن تضر .

- لا ميمي لا أشعر بالنعاس ، ما رأيك أن نرسم و نلون قليلاً معاً ؟؟

على الرحب عزيزي لنجلس بجوار الشرفة و نرسم قليلاً و نشاهد القمر كثيراً ، قهقه سام بسعادة إلا أن صوت هاتفي قطع ضحكاته ليركض سام نحو الهاتف هاتفاً بابا بحماس بالغ و بالفعل كان هذا السيد ليل يطمئن على سام .

تحدث الصغير مع والده لمدة ليست قصيرة و قبل إنهاء المكالمة أبلغني أن والده يود محادثتي

مرحباً سيد ليل

- مرحباً آنسة غيمة أرجو ألا يزعجك سام فهو طفل متحمس كثيراً أعتذر للغاية إذا أرهقك اليوم .

بالعكس تماماً سيد ليل لم أنزعج ابداً سام آنس وحدتي اليوم كما أنه بغاية اللطف لم يرتكب أي مشاكسة ، و لا تقلق فقد تناول طعامه جيداً و لعب قليلاً بالأرجاء و الآن سنلون معاً .

ـ حسنا آنسة غيمة شكراً لكِ كثيراً و أعتذر فربما اتأخر بالعودة قليلاً فـأنا لم أنهي عملي بعد .

خذ وقتك و لا تقلق ، إذا أردت البقاء عدة أيام لا بأس فسام بين أيدٍ أمينة كما يمكنك مهاتفته في أي وقت .

ـ شكراً لكِ و لكنى سأعود الليلة مهما كلفني من جهد ، إعتني بنفسك و بسام جيداً رجاءً إلى اللقاء .

حسناً .. إلى اللقاء

أنهينا المكالمة و جلست أنا و سام أسفل الشرفة كما أخبرته نلون تارة و نتحدث تارة حتى سقط نائماً بين ذراعاي دون سابق إنذار بالطبع هو أُرهق كثيراً اليوم و لذلك غفى دون أن يشعر ، حملته و وضعته في الفراش و دثرته جيداً و لم أنسى وضع دمية الديناصور التي أحضرتها له اليوم كهدية بجانبه فهو لم يُحضر دمية الباندا خاصته ، لذا دمية الديناصور ستظل هنا في منزلي لأجله دائماً كلما آتى إلي فلدي شعور أن هذا اليوم سيتكرر كثيراً .

كانت الساعة تجاوزت العاشرة مساءً و لم يصل السيد ليل أو هاتفني ربما هو مشغول بالعمل .

أعددت كوباً من الشاي و جلست بجوار نافذتي أراقب القمر و الرياح التي إشتدت فجأة منذرة بليلة باردة ماطرة على غرار الصباح الدافئ .

شردت بالكتاب بيد يداي و لم أشعر إلا عندما أصابني النعاس الشديد لأجد الساعة تجاوزت الثانية عشر صباحاً ، إلهي لم اطمئن على سام منذ نومه ركضت نحو الغرفة لأجده نائماً بسلام شددت الغطاء فوقه و غادرت و لكن يشغل بالي تأخر السيد ليل فالرياح شديدة و هناك بعض المطر ، أرجو أن يكون بخير .

حاولت الإتصال به و لكن الهاتف مغلق مما آثار رعبي قليلاً و اضطرابي ، حاربت نُعاسي بكوبٍ من القهوة فيجب علي الإنتظار حتى اطمئن على السيد ليل .

مرت أكثر من ساعة كنت أراقب فيها ساعة الحائط أمامي كل ثلاث دقائق ربما فالقلق يأكل دواخلي لا أعلم لما تأخر السيد ليل و ما أصابه .

في الساعة الواحدة و النصف سمعت دقات خفيفة على باب المنزل إندفعت مسرعة نحو الباب لأجده السيد ليل و علامات الإحراج و الخجل بادية عليه بشدة .

سيد ليل حمدً لله على عودتك سالماً لما تأخرت لقد اقلقتني كثيراً ، اوه أعتذر كثيراً تفضل بالدخول فالجو بارد .

ثرثرت كثيراً و تركت الرجل واقف محرجاً على باب منزلي يالي من بلهاء .

- شكراً لكِ .. أعتذر عن تأخري لهذا الحد آسف على إزعاجك في مثل هذا الوقت المتأخر .

لا داعي للآسف سيد ليل نحن شركاء في السر الآن و لا يوجد مكان للخجل بيننا ، قلتها مازحة لأخفف من خجله قليلاً.

تفضل بالجلوس ، ما رأيك بكوب من الحليب الدافئ و بعض البسكويت فـأنت تبدو شاحب و منهك بعض الشئ .

- لا عليكِ شكراً لكِ أنا فقط أرغب في أخذ سام و العودة للمنزل يكفيك إزعاجنا لكِ لليوم .

لا تقل هذا عن أي إزعاج تتحدث سام حقاً صنع يومي كما أنه طفل لطيف للغاية ، إرتح قليلاً و أنا سأوافيك خلال دقيقتين

كما أن سام نائم منذ مدة و الجو ماطر في الخارج إنتظر حتى يتوقف المطر على الأقل لا نريد أن يلتقط سام البرد .

ابتسم لي بخفة و أنا اتجهت نحو المطبخ أعد له بعض الحليب يبدو أنه لم يتناول الطعام طوال اليوم

حضّرت له الحليب و شطيرة و بعض البسكويت و عدت له و لكن للمفاجأة كان نائماً بعمق يبدو أنه مثل ابنه لا يتحمل الإجهاد و يغفو سريعاً ، لا أعلم كيف أتصرف حقاً هل اوقظه ام ماذا ؟

وكان الخيار الأفضل تركه نائماً ، عدلت وضعيته قليلاً على الأريكة حتى لا يتشنج جسده في الصباح و وضعت عليه الغطاء و ذهبت إلى فراشي بجوار سام

عانقته إلي بشدة و غفوت سريعاً .....

ليل

كان يومي مشحون و ضغط العمل كثيف كما أن عقلي عند سام كان فكري مشغول به فـأنا لا زلت لم أتعرف على الآنسة غيمة بشكل كبير صحيح أننا تشاركنا أسرارنا كما أنها تبدو طيبة القلب و تحب سام كثيراً و لكن سام طفل نشط بعض الشئ و ثرثار أحياناً ماذا إن أزعجها و نهرته و كسرت قلبه الصغير .

إلهي القلق ينهش دواخلي نهشاً ، حاولت طرد تلك الأفكار الشريرة فالآنسة غيمة لطيفة و تبدو بريئة لن تؤذي صغيري بكلمة حتى و لو دون قصدٍ منها .

إنهمكت في العمل و بعد عدة ساعات وصلتني رسالة تستأذنني فيها الآنسة غيمة في الخروج برفقة سام لتناول الطعام في المقهى و التسوق قليلاً .

فهى مراعية للغاية ، وافقت بالطبع و بعد وقت ليس بالطويل وصلني إتصال منها مما آثار الرعب في قلبي و لكني حلّقت

فوق الغيوم سعادة عندما وصلني صوت ابني المتحمس يعاتبني على مغادرتي بلا توديعه ، أغرقني قبلات و كلمات لطيفة مثله كالعادة ليُنهي اتصاله و تصلني بعدها صورة لسام يتناول الكعك و يبتسم بوسع .

كان يبدو كالملاك حقاً و هذا لطف بالغ من الآنسة غيمة فهى تُطمئنني عليه بطريقة غير مباشرة ، و على مدار اليوم وصلني العديد من الصور لصغيري في عربة التسوق بين عشرات المنتجات يبدو أن الآنسة غيمة متحمسة أكثر من سام نفسه .

ومنها صغيري يروي النباتات ، أو وهو في المطبخ يرتدي مريول المطبخ برسومات كرتونية و مُلطخ بالطحين و المربى ، مع كل صورة أرسلتها لي الآنسة غيمة راودني شعور كبير بالراحة فسام يبدو سعيد كما أنها سعيدة برفقته تطمئنني عليه بصورة مع كل ما يفعله و كأنها تُخبرني إطمئن ابنك مستمتع و بخير لا تقلق ..

كنت أصارع الوقت بقبضةٍ من فولاذ أرغب في إنهاء عملي سريعاً و العودة إلى ابني ، و لكن من سوء حظي تأخر الوقت و نفذ شحن هاتفي .

تحركت أخيراً في طريق العودة إلى المدينة فهى لا تبعد كثيراً عن العاصمة ربما ساعة و نصف فقط ، كان الجو بارد للغاية و هناك بعض الرياح و الأمطار و لكن هذا لن يمنعني من العودة لـسام .

وصلت أخيراً و كانت الساعة الواحدة و النصف صباحاً كنت مُحرج للغاية فـأنا أيقظت الآنسة غيمة في الخامسة فجراً و الآن سأطرق بابها في منتصف الليل و لكن ما باليد حيلة .

طرقت الباب بلطف و أنا خجل للغاية و لكنها فتحت بسرعة يبدو أنها كانت تنتظرني ، كانت قلقة بسبب تأخري و بسبب المطر في الخارج فهى لطيفة للغاية يا لي من شخص سئ توقعت بها السوء في الصباح .

دعتني إلى منزلها و الذي يبدو راقي و لطيف مثلها فهناك العديد من النباتات موزعة في أرجاء المنزل و بعض اللوحات الفنية على الحائط ، يبدو منزل رائع و لكني منهك لكي اتفحص ما حولي فعيناي بالكاد أتمكن من فتحها و منعها من الإغلاق .

ذهبت لتحضر لي بعض الحليب فقد لاحظت شحوب وجهي بالطبع أنا لم أتناول الطعام منذ الصباح الباكر و لا أعلم ما حدث بعد ذهابها إلى المطبخ فـأنا لم أشعر بشئ سوى القبلات

التي تُغرق وجهي حباً من طفلي الصغير و عندما قمت بفتح عيناي كان الصباح قد حل .

لقد نمت على الأريكة !! بحقك ليل كيف تفعل هذا في بيت آنسة تعيش بمفردها يالي من غبي .

عدت لرشدي أخيراً عقب صدمتي العقلية مما فعلت لأعانق سام عناق ضيق بينما أبحث بعيناي عن الآنسة غيمة فـأنا مُحرج للغاية من فعلتي تلك هل أنا طفل حتى أغفو بمكاني ..!

إشتقت لك صغيري

- أنا أيضاً بابا إشتقت لك كثيراً كثيراً ، لقد استمتعت كثيراً برفقة ميمي .

اوه صغيري على ذكرك لميمي أين هى ؟

- بالمطبخ تعد لنا الإفطار .

كنت محرج للغاية لا أدري كيف أتعامل مع هذا الموقف و بينما أنا غارق بأفكاري قاطعني صوتها المبتهج

- اوه سيد ليل لقد إستيقظت ، هيا الإفطار جاهز لابد و أنك جائع للغاية ، سام هل بإمكانك أخذ والدك للحمام لكي يغسل

وجهه و يديه ؟

تحمحمت أخيراً في محاولة مني لإخراج كلماتي المُحرَجة العالقة داخل حلقى ، شكراً لكِ آنسة غيمة و لا أعلم كيف أعتذر عمّا حدث بالأمس لا أعلم كيف غفوت حتى .. أعتذر كثيراً .

- ألا تمل الإعتذارات سيد ليل ليس هناك ما تعتذر عنه كنت فقط مرهق و غفوت ، هذا أمر وارد لا تنزعج أرجوك و الآن يجب علينا تناول الطعام قبل أن يبرد .

قالت كلماتها بإبتسامة كبيرة و مرحبة و لا أعلم لما خفق قلبي حينها ربما بسبب مرور فترة كبيرة على وجود شخص ثالث داخل محيطي و بهذا القرب **؟!**

على كلٍ .. تناولنا الإفطار معاً و كانت مائدة لطيفة كصاحبة هذا المنزل تبادلنا الأحاديث عن يوم الأمس و عمّا فعلاه سام و غيمة معاً يبدو أنهما استمتعا كثيراً .

أثناء إحتسائنا للشاي و لعب سام مع النباتات شكرت الآنسة غيمة كثيراً للمرة التي لا تحصى

آنسة غيمة يجب علينا العودة الآن للمنزل فـأنا ذاهب للعاصمة بالغد مرة آخرى و يجب علي تدبير مربية لسام و الوقت

ضيق بعض الشئ .

- مربية ؟؟؟

- لما مربية سيد ليل هل إفتعلت شئ خاطئ مع سام أو لم يكن سعيد معي ؟ هل شكى لك ؟!

ماذا **!!** ابداً لم يشكو سام بالعكس هو سعيد للغاية بجوارك و لكني مُجبر على السفر لمدة ثلاثة أو أربعة أيام ربما و لا أرغب بإزعاجك .

- عن أي إزعاج تتحدث سيد ليل سام حقاً كان مؤنس لي بالأمس ، أنا و لأول مرة لم أشعر بالوحدة ، أرجو منك تركي اعتني به أثناء غيابك ، أعدك سوف أرعاه بكل الحب و لن يمسه سوء .

و لكن آنسة غيمة أنا لا أود إرهاقك معنا فسام طفل نشيط للغاية .

- لا عليك أنا لازلت يافعة سوف أُجاري حركته .

قالتها لنقهقه معاً .....

إتفقنا على الذهاب لمنزلنا لتحضير إحتياجاتي و حقيبة لإحتياجات سام لقضاء الأيام الثلاث القادمة في بيت الآنسة غيمة و عدنا إليها عند موعد الغداء كما طلبت منا .

سام كان يطرق الباب بلهفة و سعادة بالغة ، كنت أستمع لصوت خطوات الآنسة غيمة الراكضة نحو الباب فهى تبدو كطفلة صغيرة سعيدة هى أيضاً .

فتحت لنا الباب لتقابلنا رائحة الكعك المنتشرة بالأرجاء ، كان المنزل دافئ و لطيف كرائحة كعكة التوت الأزرق التي تصنعها الآنسة غيمة بكل الحب ، و لكني لاحظت تَغيير كبير بالآنسة غيمة فهناك ابتسامة واسعة تلازمها و لمعة غريبة في عيناها كما أنها مبتهجة كثيراً بعكس المرات الأولى التي إلتقيت بها فيها .

هى جميلة و تملك ملامح ناعمة و رقيقة و لكن كان يغلب عليها الشحوب .. شحوب الحزن و الوحدة أما الآن فقد عادت الحياة و الألوان لوجهها فهى كما أخبرتني أن لوجود سام مفعول كالسحر يضيف جمال و بهاء للحياة .

عند المساء غادرت بعد أن أغرقني سام بالقبلات و أوصيته بالإستماع إلى الآنسة غيمة و عدم المشاكسة طوال فترة وجوده ، كما وعدته أن أهاتفه كلما إستطعت ، عدت لمنزلي

حتى أحصل على القليل من النوم قبل سفري و لكن كان كل تفكيري معهما مع سام و غيمة أسرتي الصغيرة في تلك البلاد البعيدة .....

غيمة

إستيقظت صباحاً و أنا اشعر بتحديقات مصوبة نحوي و لم تكن سوى تحديقات سام الذي إستيقظ قبلي و لم يرغب بإزعاجي صغيري المهذب .

هل إستيقظت صغيري ؟

أماء لي ، حسناً هل تعلم أن بابا وصل بالأمس و هو نائم بالخارج

لم أكمل جملتي حتى قفز خارج الفراش ليذهب إلى والده و لكني منعته طلبت منه تركه نائم قليلاً حتى نستعد و نقوم بتحضير الإفطار و هو أطاعني رغم اللهفة الواضحة عليه لأبيه هو فقط ترك قبلة صغيرة على وجنة والده و تبعني نحو المطبخ .

لا يمكنني إنكار مشاعري و أفكاري المبعثرة بوجود سام حولي ، و توتري بسبب نوم والده في منزلي أدرك جيداً إنه غفى من الإرهاق و لكن هذا لا يمنع توتري القليل فهو

شخص غريب عني و لكنه رجل مهذب لا يمكنني تخيل خجله عندما يستيقظ

إلهي ربما يهرب من المنزل دون وداع حتى .

أوقظه سام أخيراً و كنت شارفت على الإنتهاء من إعداد الإفطار ، و كما توقعت كان مُحرج للغاية و بادٍ عليه الإضطراب و التوتر ، لذا حاولت تلطيف الأجواء بقدر الإمكان

تناولنا الفطار و لا يمكنني وصف سعادتي بوجودهم معي في منزلي و على مائدة الإفطار وجودهم أعاد الحياة إلى المنزل و طاولة الطعام المهملة أغلب الأوقات .

عرفت من السيد ليل أنه سوف يغادر إلى عمله لعدة أيام و لكن ما أحزنني حقاً عندما أخبرني أنه سوف يترك سام مع مربية حينها آلمني قلبي بشدة هل يراني غير أمينة على طفله ؟

هل آذيته بأي شكل دون عمد مني ، جاهدت حتى لا تهرب دموعي خارج جفناي و بعد إلحاح مني وافق على بقاء سام معي و يبدو أنه كان خائف أن يزعجني سام و كل تلك الأفكار

السوداوية السابقة هي من نسج خيالي المريض المحب للكآبة و مفاقمة الأمور .

غادروا منزلي للإستعداد و كان قلبي يرقص فرحاً ، حيث أقامت نبضاته إحتفالاً كبيراً على أنغام أغنية " I love you baby "

فكان صوت " فرانك سيناترا " بالخلفية يملئ عقلي ألحاناً ، كنت أركض في أنحاء المنزل بنشاط مبالغ به كطفلة بإنتظار العيد فهما سيتناولان الغداء برفقتي في المنزل .

أعددت جميع أصناف الطعام التي اتقنها ، كان الوقت يمر بسرعة الضوء ربما هذا بسبب توتري ، و قبل نضوج الكعك دق باب منزلي و كنت أسمع نداء سام لي من خلف الباب .

- ميمي افتحي الباب سام قد عاد .

كان يُلحنها بصوته الجميل و كلماته الشبه واضحة إلهي ماذا يفعل بقلبي هذا الصغير ، رفقاً بي أنا لا أحتمل تلك المشاعر ، فتحت الباب أخيراً بعدما تعثرت أكثر من مرة أثناء ركضي نحو الباب لتقابلني إبتساماتهم الواسعة .

تناولنا الغداء و لا أعلم لما عاد لي شعور وجودي بجوار أبي و أمي شعور الأسرة و التجمع حول مائدة الطعام و الأحاديث

و الضحكات اللطيفة ...

نعم أنا الآن أشعر أن سام و والده أسرتي الصغيرة .

غادر السيد ليل أخيراً فهو سيغادر صباحاً لعمله و ترك لي ملاكي الصغير و أنا لا زلت لم استوعب أننا سنبقى معاً لثلاثة أيام و ربما أكثر .

ليل

غادرت صباحاً و عند وصولي هاتفت الآنسة غيمة لأطمئن على سام و لكن كالعادة آتاني صوت سام النعس يبدو أنهما لم يستيقظا و يغادرا الفراش بعد .

حادثت ابني و الآنسة غيمة في عجالة و ذهبت حتى أنهي أعمالي العالقة علّي انتهي قبل المدة المقررة لأعود و أزاول العمل من المنزل كأغلب الأوقات .

كانت الأيام طويلة و تمر ببطئ شديد برغم إمتلاء جدولي و لكن إبتعادي عن ملاكي كان يشغل عقلي برغم إنه يحادثني كثيراً على الهاتف و يأتيني صوته مبتهج و سعيد .

كما أن الآنسة غيمة تُرسل لي العديد من صور سام و هو يقوم بأنشطة مختلفة كعادة إكتسبتها تطمئنني بها على ابني إلا إنني أشتاق له .. أشتاق له كثيراً أشتاق للمساته و عناقاته و

رائحته الجميلة أشتاق لملاكي كثيراً .....

أخيراً العمل إنتهى في بداية اليوم الرابع لأعود سريعاً إلى مدينتي و ملاكي و منزلي ، و لكن قبل المغادرة طلبت من الآنسة غيمة أن تُحضر سام إلى المزل فـأنا مرهق للحد الذي يمنعني من الذهاب و أخذه بنفسي و لحسن الحظ فـأنا تركت لها نسخة من مفتاح المنزل كي تذهب له براحة إذا ما إحتاج سام ملابس أو أي غرض من أغراضه .

لأعود أخيراً و أجدهم بإنتظاري ليستقبلني سام بعناق مشتاق لأبيه و الآنسة غيمة بابتسامة رقيقة ، إستقبلتني أسرتي الصغيرة بدفئٍ بالغ دفئ برائحة التوت ....

غيمة

الأيام الثلاثة مرت في لمح البصر و كأن الوقت يطير بجناحين عملاقين ، كانوا أسعد ثلاث أيام بحياتي منذ وفاة والداي ، تقربنا أنا و سام أكثر و إرتبطنا ببعضنا البعض ، قضينا الأيام باللعب في الحديقة و التلوين و مشاهدة الأفلام و

الكثير و الكثير من العناقات و القبلات ، لا أعلم كيف سأقضي يومي بدون سام ، كيف سأغفو بفراشي دون معانقته .

لا أريد إشغال عقلي بكل هذا فهو الآن معي و بجواري بل نائم بين أحضاني بعد أن غلبه النعاس أثناء مشاهدتنا لفلمه المفضل .

إنقضت الأيام و آتى اليوم الرابع لتصلني مكالمة من السيد ليل يُخبرني بموعد عودته بعد ساعات قليلة و طلب مني أن أخذ سام إلى المنزل بسبب إرهاقه .

السيد ليل ترك لي نسخة إضافية من مفتاح منزله و هذا يُخبرني كم يثق بي فهو آمني على ابنه و منزله ، و لكني لم أستطع منع تلك الدمعات الصغيرة من السقوط لا أنكر إنني حزنت كثيراً حيث جاء الوقت لعودة سام إلى منزله و مفارقتي و لكن ليس باليد حيلة .

إرتدى سام ملابسه و معطفه و جمعت أنا حاجياته في الحقيبة و لكني تركت دمية الديناصور على أمل أن يعود سام للمبيت لدي في القريب العاجل .

أخذت بعض المكونات أيضاً لصنع الغداء في منزل والد سام ، وصلنا للمنزل و صنعنا غداء سريع بعدما استحم سام و

إرتدى ملابسه المنزلية ، كما صنعنا الكعك كالعادة و أثناء إنتظارنا نضوج الكعك وصل السيد ليل لتستقبله إبتسامتنا و رائحة الكعك ..

تناولت الغداء معهم سريعاً فيبدو السيد ليل مرهق و بحاجة للنوم ، و دعتهم و عانقت سام لمدة لا أعلمها لا أرغب بوداعه و تركه ابداً و لكن هذا هو الحال .

غادرت و عدت إلى منزلي لأجده بارداً خالياً من الحياة و من صوت سام المرح عاد كما كان منزل وحيد تعيس في ليالي الربيع الباردة .....

ليل

عندما عدت إلى المنزل وجدت سام و الآنسة غيمة قد أعدا الغداء و بإنتظاري و لأول مرة منذ قدومي إلى تلك البلاد البعيدة أشعر بهذا الشعور شعور إنتظار أحدهم لي بلهفة بالطبع سام دائماً ينتظرني بذات اللهفة و لكن الآن هناك رفيق آخر ينتظرني ربما ليس بذات اللهفة و لكن هذا يمنحني شعور عارم بالطمأنينة .

تناولنا الغداء وسط الضحكات و الأحاديث كالعادة و لكن لا يمكنني عدم ملاحظة تلك اللمعة الحزينة بعين الآنسة غيمة يمكنني التكهن بما يحزنها فهى أخيراً عثرت على رفيق يؤنس وحدتها ، أعلم جيداً أنها إرتبطت بسام بشكل كبير في الأيام الماضية فهى كانت تدللـه و تغمره بالحب و الحنان الأمومي بشكل قد يراه البعض مُبالغ به من امرأة غريبة لطفل لم تقابله سوى من أسابيع قليلة و لكني أشعر بها و أعلم جيداً أن ما

تعطيه لـسام من مشاعر هى مشاعر حب صافية دون أي مقابل .

عند وقت المغادرة و الوداع كنت أراها مترددة كثيراً بين المماطلة في البقاء و المغادرة و تركنا ، لو بإمكاني لطلبت منها البقاء و المغادرة متى ما تشاء و لكن .....

- إلى اللقاء سام ، وداعاً سيد ليل .

إلى اللقاء آنسة غيمة نراكِ بالغد ، أخبرتها مبتسماً علّ كلماتي تمنحها بعض السّكينة الليلة .

عانقها سام و ودعها لتغادر و أجتمع أنا بابني بعد فراق عدة أيام مرّت كالدهر .....

غيمة

مرت ثلاثة أشهر منذ تعارفنا أنا و سام و السيد ليل حدث خلالها الكثير و الكثير ، تلك الثلاثة أشهر جمعت بها ملايين الذكريات مع سام كما أصبحنا أصدقاء جيدين أنا و السيد ليل فنحن رفاق الغربة و الوحدة كما إعتادنا القول .

كنا نتلاقى بشكل يومي في الحديقة و المقهى و حتى الغداء و العشاء لم يفصل بيني و بينهم سوى النوم ، تَجمعنا كثيراً بمنزلي و الذي بات يحمل لمسات سام الخاصة من رسومات عُلّقت على حائطي و بعض الألعاب هنا و هناك و بعض الملابس أيضاً في خزانتي فهو يقضي بعض الأيام لدي عند سفر والده .

لا يمكنني وصف شعوري عندما أفتح خزانتي و أرى بها تلك الملابس الصغيرة الخاصة بسام ملاكي الصغير رائع في كل شئ حتى ملابسه رائعة و باهية .

اليوم سوف نذهب إلى الشاطئ فبعد الغد أول أيام سام

بالروضة ، أجل سام كبر قليلاً و الآن سوف يذهب لروضة الأطفال و هذه الرحلة مكافأة له قبل إنشغاله بالروضة .

بالطبع الروضة لن تكون مشقة على صغيري و لكنها سوف تأخذ فترة كبيرة من يومه الذي كان يقضيه باللعب .

أنا متحمسة للغاية لرحلة الشاطئ و متحمسة أكثر ليوم سام الأول بالروضة أتمنى لو أرافقه ...

جهزت بعض من الكعك و الشطائر و بعض المُعجنات من مقهى السيد كلاريس بجانب غطاء للأرض و لم أنس وشاحي الأحمر و وشاح آخر لسام ، و السيد ليل سيجلب باقي الأغراض فنحن سنذهب بسيارته اليوم .

ذهبنا بالصباح الباكر في السابعة صباحاً كنا على الطريق المسافة لم تكن بعيدة نصف ساعة ربما قضيناها بالغناء فحماسي أنا و سام كان كبيراً بشكل لا يصدق و كأنها مرتي الأولى في الذهاب كـ سام الذي يرى الشاطئ للمرة الأولى .

كان هناك بعض النسيم الصباحي البارد كما أخبرتكم مدينتنا طقسها بارد على الدوام حتى فصل الصيف لم يكن حاراً بالمعنى الحرفي .

جهزنا مكان جلوسنا أسفل مظلة صفراء كبيرة تقينا الشمس و الهواء و انطلق سام و أبيه نحو البحر بينما أراقبهم من مكاني فعلاقتي ليست جيدة بالبحر و السباحة حقاً .

أصوات ضحكات سام كان تملئ الأرجاء فهو يبدو رائع ببنطاله القصير الوردي و قميصه القطني الأبيض حسناً ملابسه من إختياري و لكن هو من أضاف لها جمالاً و بريقاً ملاكي الصغير الرائع .

أشتدت الشمس قليلاً و خرج كلاهما أخيراً من البحر حيث كان السيد ليل يحاول تعليم ابنه السباحة

تناولنا بعض الشطائر و العصير و لكن سام المتحمس بشكل زائد عاد للهو على الشاطئ و لكني كنت معه أنا الآن نبني بعض القلاع الرملية و نبحث عن الأصداف بينما يسخر منا السيد ليل و من أفعالنا الطفولية .

عدنا أخيراً للراحة أسفل المظلة الكبيرة و لم يتحمل سام فغفى سريعاً يحصل على قيلولة بين ذراعاي .

مرت ساعة ربما أو أكثر من أحاديثي مع السيد ليل عن الروضة و نظام يوم سام بدء من بعد الغد و لكن ما فاجئني هو طلبه أن أذهب معهم في يوم سام الأول بالروضة ، لم أعِ

على نفسي عندما صرخت متفاجئة .. حقاً ؟؟

حقاً سيد ليل يمكنني الذهاب معكما !!

لينتفض جسد الصغير النائم بسبب صراخى المتحمس .

ليقهقه هو و يأكد لي

- بربك هل إعتقدتي أننا سنذهب بدونك فأنتِ رفيقتنا هنا و فرد من أسرتنا الصغيرة .

شكراً لك كثيراً كثيراً ، و بالطبع أستيقظ سام بسبب حماسي المبالغ به و لكن كل ما نطق به ميمي أنا جائع لأغرقه بقبلاتي و عناقاتي وهو يتذمر بشدة بالطبع هو نصف نائم و جائع و لكن لا يمكنني مقاومته .

إنتهى اليوم سريعاً بين اللعب الكثير و الضحكات ، كان يوماً رائعاً و رحلة مميزة نُثقل بها علاقتنا ببعضنا البعض ، عاد كلٌ منا إلى منزله لتبدأ صفحة جديدة في حياتنا بذهاب ملاكنا الصغير إلى الروضة .

ليل

الثلاث أشهر المنصرمة حدث بها الكثير و الكثير أصبحنا أكثر قرباً من الآنسة غيمة ، سام متعلق بها كثيراً و أنا أيضاً فهى كانت نعم الرفيق لي ساندتني كثيراً في أيام عملي و اعتنت بسام جيداً و لكنها تفسده بدلالها الزائد له تعامله كأمير صغير و بالطبع يعجبه ذلك كثيراً .

إنضمت بعض الصور تجمعها بسام إلى صور سام عبر مراحل نموه و أضفنا وشاح أزرق على أريكتنا بجانب وشاحي أنا و سام فهى ضيفتنا الدائمة بمنزلنا و أصبح لها لمستها الخاصة به .

اليوم سنذهب للشاطئ معاً في نزهة صغيرة لأجل سام الذي سيبدأ مرحلة جديدة من حياته بذهابه للروضة بعد الغد ، صغيري اللطيف كبر و سيبدأ أولى مراحله التعليمية لا يمكنني التصديق .

تجهزنا جيداً للنزهة و بالطبع ملاكي الصغير كان متحمس أكثر من العادة فهى المرة الأولى له برؤية الشاطئ ، كان يبدو وسيماً للغاية بالملابس التي أهدته إياها الآنسة غيمة ،

الطريق إلى الشاطئ لا يمكنني وصفه إلهي أنا أجلس بين طفلين مزعجين لم يسكتا للحظة عن غناء أغاني الأطفال و الضحك لا يمكنني إنكار سعادتي بسبب ذلك ابني سعيد و مبتهج و الأنسة غيمة أيضًا .

أعتقد أنها تغيرت كثيراً عن بداية تعارفنا فهى الآن تضحك و تتحدث كثيراً أصبحت شخص مبتهج على الدوام لم أعد أرى بعيناها نظرة الفراغ السابقة بالطبع هناك لحظات أرى الحزن بداخلها و لكن ليست كالسابق .

أنا أيضاً تغيرت فلم أعد أبكي كل ليلة قبل نومي كالسابق بالطبع هناك ليالي أفتقد بها روزا بشدة تدفعني إلى البكاء و لكن أغلب الأيام لا أبكي فقط أشكو شعوري للآنسة غيمة و هي تنصت لي بإهتمام بالغ و تخفف عني حدة الشعور ....

وصلنا إلى الشاطئ و مرحنا كثيراً ، كنت أحاول تعليم سام السباحة و لكن لشدة حماسه لم يستمع لي بالمرة و بعد وقت طويل من اللعب سقط نائمًا و احتضنته هى كما تفعل دائماً ، فهى تعامل سام كجوهرة ثمينة تخشى عليها الخدش و تفعل هذا بحنان بالغ

في بعض الأحيان أرى بها روزا أعتقد أنها كانت ستعامل سام بنفس الطريقة و تعطيه الحب كما الآنسة غيمة .

ما فاجئني حقاً هو رد فعلها عندما طلبت منها أن نذهب معاً في يوم سام الأول بالروضة ، تلك الفتاة حقاً بلهاء كما تُلقب نفسها دائمًا أكانت تعتقد أننا سنذهب من دونها ؟؟!!

لا يمكن بالطبع هى فرد أسرتنا الثالث هنا و رفيقتي أنا و سام بربكم سام لن يذهب خطوة واحدة حتى باتجاه الروضة من دونها .

إنتهى اليوم بغروب الشمس و تحول الأفق إلى لون الكهرمان اللطيف لنعد إلى منازلنا مُنهكين و لكن قلوبنا سعيدة .

كان اليوم التالي حافل للغاية كيف أصف لكم مشاجرتي مع الآنسة غيمة إلهي تشجارنا طوال اليوم و المؤسف أن ابني كان بصفها على الدوام ، أعتقد إني لو تركت لها قيادة حياة سام سوف يصبح أميرة مدللة فعلا فهى تستجيب لكل طلباته هى حقاً أخبرته أنها بإمكانها شراء الروضة و إهدائها له حتى يذهب و يعود متى شاء .. !

اه منهك أنا من شجاري مع هذين الطفلين ، تشاجرنا بسبب الملابس و تشاجرنا بسبب الحقيبة و بسبب الطعام بسبب كل

شئ هى حقاً أحضرت له علبة إسعافات أولية مخبرة إياي بأن الأطفال دائماً متحمسين للعب و التدافع يمكن أن يصاب بأذى أو يُخدش لن أتركه يلوث جرحه كانت تتحدث بفلسفية و إندفاع و كأن سام ذاهب لتحرير قرية ما و ليس الروضة .

و بعد كل تلك المشاجرات إنتهينا أخيراً و لكن كنا متخاصمان لا ننظر لوجه بعضنا البعض كطالبين في المرحلة الإعدادية ، جلسنا حول مائدة الغداء و التي تأخرنا عنها بسبب الشجار و أصبحت غداء متأخر أو ربما عشاء ، كان المستمتع الوحيد بالوضع هنا هو المشاكس الصغير كان يضحك بسبب تصرفنا طوال اليوم و كأنه معجب إنه سبب النزاع بيننا و لكن ما أن تلاقيت أعيننا حتى إنفجر ثلاثتنا بالضحك ، ضحكنا حد الدموع .

بعد الغداء جهزت هى سام للنوم و حضّرت أنا الشاي لنا ، إتفقنا على أن نتقابل هنا في المنزل في الساعة السابعة لنجهز سام سوياً ، و أخيراً أنتهى هذا اليوم المشحون لأنام بأريحية و سكينة و أنا واثق أن هناك من يحب ابني الصغير كحبي له و ربما أكثر .. الآن لن أقلق على ملاكي ابداً ..

غيمة

عدت إلى منزلي مرهقة بسبب كل تلك المشاجرات التي إفتعلتها مع السيد ليل ااه الرجال حقاً قُساة القلوب كيف لا يريد لابنه أخذ علبة إسعافات أولية إلهي الأطفال دائماً ما يسقطون و يجرحون و لكن لا كيف هذا بإعتقاده أن من بالروضة سيهتمون بالأمر .. كيف ؟

توترنا كثيراً و تشاجرنا كمراهقين و لكن تصالحنا على طاولة الطعام تحت قهقهات سام ، جهزت ملاكي و حممته و دثرته جيداً بالفراش فالغد يوم هام و حافل بالنسبة له ، و لكن لما أنا لا أستطيع النوم ؟ من فرط حماسي هرب نعاسي .

قضيت الليل أختار الملابس المناسبة للغد فيحب علي التأنق و لكن ليس بمبالغة ، كنت أدور بالغرفة و سط عشرات من قطع الملابس و الأحذية التي اقتنيتها منذ عدة أيام من أجل هذا اليوم رغم خوفي الشديد من عدم دعوتهم لي بالذهاب .

و أخيراً سقطت نائمة بعدما تجاوزت الساعة الواحدة صباحاً ، إستيقظت فزعة على رنين منبهي في السادسة صباحاً ركضت خارج الفراش فيجب علي الإستعداد و الذهاب إلى سام ، كانت بشرتي شاحبة و عيوني محمرة بسبب عدم نومي فترة

كافية .

إرتديت ملابسي الأنيقة و وضعت أحمر الشفاه الوردي الجميل و تأنقت كما أردت و ركضت إلى منزل السيد ليل ، كانوا مستيقظين بالفعل و سام يتناول إفطاره بمزاجٍ عكر يبدو أنه متوتر من أول أيامه بالروضة كحال جميع الأطفال أو معظمهم و لكن على أية حال لا مفر من اليوم ابداً ، إرتدى سام الزي الخاص بالروضة و مشط والده شعره بشكل جميل وضعت له عطره الظريف الذي اشتريناه معاً الشهر الماضي إستعدينا جميعاً و ذهبنا إلى الروضة أخيراً .

عندما وصلنا كان المشهد رائع العديد من الأطفال بأبهى حلة أغلبهم بعمر سام أو أصغر أو أكبر قليلاً منهم من هو نعس و منهم المبتهج و منهم المتحمس مثل ملاكي الذي تبدل مزاجه عند رؤيته للابن الأصغر للسيدة مادلين ، عبرنا بوابة الروضة أخيراً و تقابلنا مع المعلمة المسئولة عن صف سام و التي رحبت بنا جميعاً و لكن سؤالها التالي كان بمثابة صفعة على وجهي ...

- هل أنتِ والدة سام ؟

ذلك السؤال الذي هز كياني و زعزع ثباتي فمن أنا حقاً

بالنسبة له ؟

صديقة !! كيف و أنا بعمر والدته ، جارتهم ! و ما الذي تفعله جارتهم هنا ؟

عُقد لساني و لم أعرف الإجابة عن هذا السؤال رغم بساطته و لكنه عرّى أمامي الحقيقة أنا لست والدة هذا الطفل أو حتى خالته نحن حتى لا نملك ذات الجنسية أو اللغة ، و لكن إجابة السيد ليل أنقذتني و أفاقتني من متاهة التفكير التي سقطت فيها بعمق .

- الآنسة غيمة هى رفيقتنا و فرد من أسرتنا ، إسمحي لي سيدتي أن أضع اسمها في الوصاية على سام حتى تستطيع أخذه من الروضة و التعامل مع كل الأوراق و المعاملات المطلوبة أثناء غيابي .

إجابته تلك حَطمت ثباتي الإنفعالي و لم أعي على نفسي عندما خرجت تلك الدمعة من عيني و أخذت مجراها على وجنتي تلك الدمعة الحارة أذابت غلاف الثلج الذي تلبسني بجمود عند سماعي سؤال مسئولة الروضة .

أدركت حالي لأمسحها بلوع حتى لا يرى ضعفي شخص آخر و لكنه رآها ...

أنهينا الأوراق المطلوبة و رافقنا سام حتى فصله و مقعده و بالطبع كان بجواره صديقه " رالف " ابن السيدة مادلين و التي كانت معنا أيضاً لنودع الصغيرين بعناق ضيق لنتركهم في مواجهة أول أيام الحياة الدراسية ....

غادرنا نحن للمقهى و ودعتنا السيدة مادلين لقضاء بعض أشغالها ، إحتسينا القهوة في صمت حتى قرر السيد ليل كسر هذا الصمت الموتر بيننا .

- آنسة غيمة أرجو ألا تكون أزعجتك مسئولة الروضة بسؤالها أنتِ بالفعل فرد من أسرتنا و حبك لسام يكاد يكون أكثر من حبي له ، و الآن أنتِ واصية عليه أيضاً أرجو ألا أكون فاجئتك بهذا و لكن لا يوجد شخص آخر أثق به في الإهتمام بسام أثناء غيابي .

تحمحت محاولة أن أجد بعض الكلمات في عقلي حتى أجاوبه و لكني لم أجد عقلي فارغ كورقة بيضاء و لكنه أنقذني للمرة الثانية عندما غير الموضوع و تحدث عن عمله .

عاد كلٌ منا إلى منزله و اتفقنا أن نتقابل أمام الروضة عند موعد الخروج لنتناول الغداء معاً في منزلي ، جهزت الطعام و كل شئ بالإضافة إلى هدية صغيرة لسام كتحفيز مني له و

كانت عبارة عن كتاب تلوين و مجموعة ألوان جديدة ، أعتقد أن السيد ليل سيوبخني كثيراً و لكن لا يهم فـأنا إعتدت الأمر .

في تمام الساعة الثانية و النصف ظهراً كنت أنا و السيد ليل أمام بوابة الروضة مستعدين لإستقبال سام و الذي ركض نحونا مبتهج و كان يلوح لبعض الأطفال يبدو أنه حصل على رفقة بجانب صديقه رالف .

في طريقنا للمنزل كان سام يخبرنا عن يومه بحماس بالغ و عن اسماء أصدقاءه الجدد ، وصلنا أخيراً ليبدل سام ملابس إلى آخرى مريحة و حصل على قيلولة صغيرة حتى موعد الغداء

تناولنا الطعام و إنتهى اليوم بسعادة لطيفة .

ليل

إستيقظت في الساعة السادسة و النصف لأوقظ صغيري ها هو اليوم المنتظر يومه الأول بالروضة و لكنه كان متذمر و ذو مزاجٍ عكر لا أعلم هل بسبب التوتر ام الإستيقاظ أبكر من المعتاد !!

كان يتناول إفطاره بتململ حتى دق جرس الباب في تمام السابعة و بالطبع كانت الآنسة غيمة و التي تبدو متحمسة للغاية .

كانت مبتسمة بإشراق ترتدي ملابس أنيقة و التي كانت من إختيار سام فهما ذهبا للتسوق معاً منذ فترة و قاما بشراء السوق بأكمله على ما أعتقد بالطبع كنت معهم و لكني كنت سائق و حمّال لحقائب التسوق فقط .

بمجرد دخولها المنزل ضمت سام بشدة لتسأله هل أنت متحمس و لكن المشاكس لوى فمه و لم يجب

جهزنا سام و الذي كان جميلاً للغاية بزي الروضة حقاً ابني وسيم أعتقد إنه في المستقبل سيكون محط أنظار جميع فتيات المدينة .

وصلنا الروضة و تقابلنا مع السيدة مادلين و رالف الذي و بالمصادفة صديق سام المقرب و معه بنفس الفصل ليس هذا فقط فهو معجب سري بالآنسة غيمة و الذي يتمنى أن ينمو سريعاً ليتزوجها

مُضحك أليس كذلك ؟!

كنا نُجري مقابلتنا مع المسئولة كما يفعل جميع أولياء الأمور و لكن ما حدث لم يكن في حسباني حقاً عندما سألت المديرة الآنسة غيمة عمّا كانت والدة سام .

رأيت جمودها و شحوب وجهها الذي كان واضح للعيان بشكل كبير فهى توترت و كانت تقبض يدها بشدة ، رأيت الحزن يكتسح نظرتها و الذي آلم قلبي حقاً فهى في تلك اللحظة عادت تعبيراتها كأول مرة صادفناها .

حينها قررت التدخل و الإجابة بأنها فرد من أسرتنا و عبّرت عن رغبتي بأن تكون مسئولة عن سام أيضاً في أوراق الروضة و لكن عند نطقي لكلماتي هاته رأيت دمعة هربت

من عيناها و أعتقد أنها حاولت حبسها بشدة و لكنها فشلت لا أدري لما هذا الموقف أثر بي بشدة و هز شئٌ ما بداخلي .

أنهينا المعاملات و ودعنا سام و ذهبنا للمقهى ، كل هذا حدث في صمت شديد حتى قررت إنهائه و مطمئنت تلك الفتاة رقيقة المشاعر و مرهفة الحس و التي تتأثر بكل كلمة تُقال حولها .

كانت تحاول إيجاد بعض الكلمات و لكنها دائماً ما تفشل لذا قررت إنهاء الموضوع بأكمله و تغير مسار الحديث .

عدنا إلى منازلنا حيث كان لدي الكثير من العمل على حاسوبي و اتفقنا على أخذ سام معاً من الروضة و الغداء سوياً في منزلها ، و بالطبع أحضرت هدية لسام و التي اصبحت عادة لديها لتُخبرني بفلسفيتها المعتادة يجب تحفيزه و لو بهدية صغيرة إلهي إنها حقاً تُفقدني صوابي .

بعد إستيقاظ سام من قيلولته و تناولنا للغداء عدنا للمنزل و مرّت الأيام التالية كسابقتها و إعتاد ملاكي على روتين يومه الجديد بين الروضة و المنزل ، و بعد مرور عشرة أيام إضُطررت للسفر للعاصمة بسبب عملي و تركت للآنسة غيمة مهمة الإعتناء بسام و الروضة .

كان السفر لمدة يومان فقط مروا سريعاً و عدت إلى المدينة في الساعة السابعة مساءً دون إخبارهم بموعد عودتي أردت مفاجأتهم ، أحضرت لهم بعض الكعك و الشيكولا المفضلة لديهم و ذهبت إلى منزل الآنسة غيمة .

مرّ أكثر من عشرة دقائق و أنا أقرع جرس المنزل و لكن لا رد ، في البداية إعتقدت أنهما نائمان ربما و لكن لا هما ليسا بالمنزل إذاً ربما بمنزلي توجهت لمنزلي و في طريقي مررت بالحديقة و لكنها ليسا هناك أيضًا .

وصلت المنزل و فتحت بمفتاحي و لكن لا أحد ، أصابني القلق كثيراً أين هما فقد إقترب موعد نوم سام و لكن لا وجود لهما .

اخرجت هاتفي أتصل بها لأعلم أينهم و بعد إتصالي بها مرتين على التوالي أجابت في الثالثة كان صوتها باكي بوضوح .. نعم الآنسة غيمة تبكي

آنسة غيمة ما بك ؟ أين سام أنا عدت و لم أجد أحد ماذا حدث ؟!!

- نحن بالمشفى

قالتها باكية و حينها سقط قلبي أرضاً ، ركضت في الشوارع

و كل ما يدور في ذهني أن ملاكي أصابه مكروه إلهي أرجوك لا تأخذه مني ، كانت دموعي تغادر محجري بدون وعي و الفزع و الرعب يدب بأوصالي ....

وصلت أخيراً ألهث و جسدي بأكمله يرتجف لأجدها تجلس على كرسي و تبكي بصمت

سام .. أين ابني ماذا حدث له ؟

كنت أبكي رعباً لا أعلم ماذا أصاب طفلي و ملاكي الصغير ، تمسكت هى بكفاي محاولة تهدأتي

- إهدء سيد ليل سام بخير هو فقط أُصيب بنزلة معوية حرارته إرتفعت و كان يتقيئ بشدة لذا جلبته إلى هنا و هو نائم الآن بعد أن تناول الدواء اللازم .

إذا كان بخير لم تبكين ؟ أرجوكِ صارحيني هل أصاب ابني مكروه ؟؟

- هو بخير حقاً أنا فقط .. أنا إرتعبت بعض الشئ و لم أعلم ماذا أفعل فقط أبكي من خوفي و لكنه بخير أقسم لك و هو في الغرفة أمامنا يمكنك رؤيته .

أنهت حديثها لأسقط على الكرسي بجوارها و أجهش في البكاء لا أستطيع السيطرة على نفسي ، هدأ بكائي قليلاً لأسحب قدماي إلى غرفة سام ، وجدته نائمًا يتوسط فراش المشفى شاحب الوجه شفاهه زرقاء و هناك إبرة موصولة بيده لتوصيل المغذي .

تحدثت مع الطبيب و أكد لي كلام الآنسة غيمة و أخبرني أن بإمكاننا المغادرة عقب إنتهاء المغذي كما أنه طفل و معرض لكل هذه الأمراض كباقي الأطفال لذا ليس علينا القلق بهذا الشكل .

- آسفة أعتذر كل هذا خطأي آسفة لأنني لم أكن على قدر المسئولية و لم أعتني به جيداً لذا أصابه المرض ، أعلم إعتذاري لا يغفر لي ذنبي أنا حقاً آسفة .

إعتذرت مني بصوتٍ بح من كثرة البكاء و لكني كنت مرهق لأجاوبها أو أخفف من ذعرها ، أعلم ليس لها أي ذنب بما حدث هو فقط إلتقط العدوى كباقي الأطفال و لكني مجهد لأواسيها أو أُخبرها و لو بكلمة واحدة عكس ما تفكر به فقط ظللت أنظر نحو ابني النائم بهدوء و هى فقط أنسحبت من الغرفة لتجلس أمام الباب على كراسي الإنتظار .....

كان الوقت يمر ببطئ موحش و أنا فقط أنظر نحو ملاكي

النائم ، ربما أنا أبالغ بالأمر و لكن هو ابني و كل ما أملك بهذه الحياة .

بعد فترة إنتهى المغذي و آتت إحدى الممرضات لتنزع عن كفه الصغير تلك الإبرة و أخبرتني إنه نائم فقط و متى ما يستيقظ يمكنه العودة للمنزل ، حاولت إستجماع شجاعتي للتحدث مع الآنسة غيمة التي تتمزق حزناً بالخارج و ينهشها تأنيب الضمير .

آسف آنسة غيمة أنتِ لا ذنب لك هو فقط مرض كجميع الأطفال كل ما في الأمر إنني أخاف عليه بشكل مبالغ أنتِ بالطبع تعرفين ، و كان ردها هو الإنفجار في البكاء أعتقد حقاً أننا نحتاج لعلاج المبالغة في رد الفعل .. !

بعد أكثر من ساعة إستيقظ سام أخيراً بجسد متعب و وجه شاحب ليفحصه الطبيب و نعود للمنزل بقلوب مرهقة .

غيمة

إضطر السيد ليل للسفر إلى عمله كعادته كل فترة و ترك لي سام للإعتناء به ، كان كل شئ بخير حتى هاتفتني مسئولة الروضة تخبرني بأن سام مريض ، لا أعلم كيف وصلت إلى الروضة كنت أهرول بالشوارع كشخصٍ ممسوس و جميع أطرافي ترتعد رعباً .

ملاكي كان شاحب الوجه محموم الجسد يتقيئ و يبكي لا أعلم ما أصابه لقد كان بخير في الصباح حملته و هرعت نحو المشفى و هناك طمأنني الطبيب أنها مجرد نزلة معوية تصيب جميع الأطفال و ليس هناك أمرً خطير أو أياً مما كنت اهذي به ، تعامل معه الطبيب و أعطاه بعض الأدوية و المغذيات .

أما أنا .. أنا فقط كنت أبكي بحرقة و خوف على صغيري ، و بعد وقت طويل نام سام أخيراً و بعد فترة رن هاتفي لتزداد ضربات قلبي و توتري فقد كان السيد ليل من يتصل إلهي

لا أعلم ماذا أُخبره ؟؟

رن الهاتف مرة و إثنان و في الثالثة و تحت إصراره تلقيت الإتصال حاولت التماسك و فشلت و ما أرعبني أكثر كونه قد

عاد و يبحث عنا ، أخبرته بمكاننا و جلست على مقاعد الإنتظار أنتحب في صمت فهو محق مهما كانت ردة فعله و لكنى أخشى منع سام مني و ألا أراه مرة آخرى فهذا شئ لن أتحمله مطلقاً .

وصل السيد ليل و كانت حالته يرثى لها كان يلهث و عيناه مرتعبة تبحث هنا و هناك بالطبع هو قلق على ابنه الوحيد ، أخبرته بما حدث و حاولت تهدأته و لكن هيهات من يمكنه تهدأت أب مذعور على وحيده .

عقب محادثته للطبيب و إطمئنانه على حالة سام حاولت الإعتذار منه فكل هذا خطأي إعتذرت كثيراً و لكنه لم ينطق ببنث شفه فقط ينظر لي نظرات خاوية من أي ردة فعل مما أكد شكوكي فهو حقاً سيمنعني من رؤية سام و التعامل معه مرة آخرى بالطبع هو مرض و هو في عهدتي أنا المخطئة الوحيدة هنا ، ربما يراها البعض أنانية مني بسبب تفكيري بهذا الآن و لكن لا أحد يعلم كيف جلب هذا الملاك الألوان لحياتي الرمادية الكئيبة ، أنا لم أعد أستطيع إمضاء يومي دون سام و أحاديثه و ضحكاته لا أستطيع حقاً .

و عندها لم أستطع التماسك أكثر فقط غادرت الغرفة بهدوء و

بعد وقت مرّ علي و كأنه الدهر و عقب مغادرة الممرضة غرفة سام خرج لي السيد ليل ليعتذر مني عن عدم إبداءه أي رد فعل سابقاً

لا أستطيع الإنكار أن حديثه خفف من رعبي قليلاً و لكن ما زال ضميري ينهشني داخلياً بسبب مرض ملاكي .

إستيقظ سام و عدنا لمنازلنا بعد يوم مرهق و قضيت أنا ليلتي في البكاء و لم تساعدني أدويتي تلك المرة أيضاً .....

في الصباح أعددت بعضاً من حساء الخضروات و اشتريت بعض الفواكه الطازجة و قررت زيارة سام و الإطمئنان عليه كنت في طريقي أخطو خطوة و أتراجع خطوتان كنت مترددة و خائفة و كأن علاقتنا عادت للبداية قبل أكثر من ثلاثة أشهر .

ترددت كثيراً قبل ضغطي زر الجرس أخشى ألا يقابلني السيد ليل بذات الوجه البشوش أخشى أن تكون إقتربت نهاية تلك العلاقة التي جمعت بيننا ، العلاقة التي جمعت بين ثلاث أغراب في مدينة بعيدة

ضغطت الزر الصغير ليصدح صدى صوته يملئ المكان الفاصل بيني و بين ملاكي ، لا أبالغ إذا وصفت ضربات قلبي

بأنها وصلت لحلقي بالفعل كان كل ما يشغل تفكيري ماذا سيحدث الآن هل سيطردني السيد ليل ؟

كيف سأواجهه ؟

و لكن ما حدث كان عكس توقعاتي فبعد مرور ثوانٍ و التي مرت طويلاً علي فُتح الباب لأرى السيد ليل يحمل سام على ذراعه و المفاجئ هى ابتسامتهم كانوا يبتسمون لي كعادتهم .

- ميمي إشتقت لكِ كثيراً .

قالها سام و أنا لازلت متسمرة بمكاني لا أرمش حتى فقط أُحدق بهم يبدو أن السييد ليل لاحظ توتري ليبتسم بإتساع يخبرني بنبرة طفولية مقلداً لسام **تفضلي بالدخول ميمي**

و دخلت بالفعل بعد عدة محاولات لنزع قدماي التى تيبست بالأرضية ، لقد حضّرت بعض الحساء و الفواكه لأجل سام تحدثت أخيراً بصوتٍ مرتعش .

- آنسة غيمة أنتِ بالفعل ملاك نحن جائعان و لم نتناول الفطار حتى الآن .

هل سام بخير الآن ؟ سألت بتردد

- اجل لقد تحسن كثيراً بفضل الدواء و إنخفضت حرارته .

كنت متوترة و مترددة بطلبي فـأنا أود معانقة سام بشدة و لكن السيد ليل سلمني إياه يخبرني أن أعتني به حتى يجهز الطعام .

إلهي هل حقاً لن يُبعدني عنه و يجبرني على عدم الإقتراب منه مرة آخرى ! يبدو إنني بالغت كما العادة ..

عانقت سام بشدة ، صغيري هل تشعر بالتعب هل هناك ما يؤلمك ؟

سألته و هو فقط نفى و عانقني بضيق يضع رأسه على كتفي ، تناولنا الطعام و بالطبع راجعت جميع أدوية سام و كان الوضع طبيعياً بيننا حمداً لله لم تحدث أياً من شكوكي .

ليل

اليوم سنذهب للسينما أنا و سام و غيمة ، اوه حقاً تذكرت إنني لم أخبركم بعد فقد توطدت العلاقة بيننا و أسقطنا تلك الألقاب السخيفة أخيراً ..

لقد مرت أربعة أشهر آخرى ، مضت سبعة أشعر على علاقتنا بغيمة لا أستطع وصف تلك العلاقة لقد مررنا بالكثير ما بين خروج و نزهات و شجارات و مرض ، كل موقف مررنا به ساعد في توطيد علاقتنا ، الآن لا أتخيل يومي بدونها حقًا ....

لا أعلم ماهية مشاعري تجاهها و لكنها تجذبني كل ما بها يجذبني إليها خاصة حبها الكبير لابني سام .

موعدنا بالسادسة مساءً فهناك فلم حديث من أفلام ديزني يرغب ثلاثتنا في مشاهدته كما أنها فرصة جيدة كي أفتح معها الموضوع الذي يشغل تفكيري منذ فترة اتمنى ألا تغضب أو تصدر ردة فعل عكسية حينئذ سأحزن كثيراً ليس أنا فقط بل

سام أيضاً .

تقابلنا أمام السينما كما اتفقنا و شاهدنا الفلم و الذي كان ممتع للغاية و لكن توتري غلب متعتي بالمشاهدة .

كنا نتناول العشاء في مطعم بسيط قريب من السينما و حينها قررت أخيراً التحدث ، لملمت شتات كلماتي و تحمحمت .. غيمة نظرت لي تنتظر ما سأقوله تالياً فهى حقاً حفظت تصرفاتي عن ظهر قلب .

تنظر لي تنتظر كلماتي بالخروج و حينها فكرت بالتراجع و لكن كلا سأقولها سأخبرها بما أفكر به

لما لا تعودين للعزف مرة آخرى ؟؟ سألت بخوف واضح فهذا الموضوع حساس للغاية بالنسبة لها البيانو يذكرها بوفاة والديها و لكنها حقاً موهوبة فقد رأيت العديد من الفيديوهات المنشورة لها أثناء العزف فهى ماهرة و تملك أسلوب خاص بها يجعلك تكاد تحلق فوق السحاب من روعة العزف و من المحزن أن تذهب موهبتها هباءً .

تركت ملعقتها جانباً و إعتدلت بجلستها تنظر لي ، إلهي نظراتها مرعبة حقاً .

- أنت تعلم جوابي لهذا السؤال جيداً أليس كذلك ؟!

- البيانو مرحلة و انتهت بالنسبة لي و لن تعود مرة آخرى .

و لكن يا غيمة

- ليل ليس هناك داعٍ لهذا الحديث الآن لا تعكر صفو عشائنا أرجوك .

كانت تتحدث من بين أسنانها و أنا أعلم حقاً إنها الآن غاضبة للغاية لذا لم أتحث مرة آخرى ، إنتهى العشاء و ذهبنا قليلاً للحديقة و بعدها عاد كلٌ منا لمنزله .

و لكني لن أتنازل عن إقناعها بالعودة للعزف فهى قضت أغلب عمرها بالعزف كما أنها تملك شغف تجاهه يجب أن تتجاوز صدمتها و تعود لشغفها مرة آخرى .

غيمة

مضت أربعة أشهر آخرى حدث بها الكثير و الكثير إستمررنا بحياتنا الهادئة أيامنا كالعادة نقضيها سوياً ، كبر سام قليلاً و أصبح متكلم جيد نوعاً ما .

سقطت بيننا الألقاب و أصبحنا ليل و غيمة فقط بدون رسميات ، في تلك الفترة الفائتة تعرفت جيداً بـليل و بطباعه و مختلف تصرفاته و العكس أيضاً فأصبح كلاً منا كصندوق مفتوح أمام الآخر مما سهل علينا الكثير في حياتنا و جعل من علاقتنا أقرب و أفضل .

ذهبنا للسينما و خرجنا للعشاء اليوم كان لطيف حتى قرر ليل أخيراً إفشاء ما بجوفه من كلمات أراها تتدافع بعقله و لكن يرفض لسانه الحديث لألحظ ذلك و أترك ما بيدي أستعد لما سوف يقال و الذي كما يبدو لن يعجبني بحسب تردده القوي ، أعتقد إني أعلم عمّا سيتحدث به و لكن لنرى .....

- لما لا تعودين للعزف مرة آخرى ؟؟

ها هى خرجت كلماته العالقة بحلقه أخيراً ، زفرت بغير راحة فهذا الموضوع بحد ذاته يُشعرني بعدم الراحة يُقبض قلبي و يذكرني بما حدث لوالداي ، أجبته برفضي بحنق شديد و واضح في تعابير وجهي و أنا آسفة لذلك و لكن في هذا الموضوع خاصةً لا تّحكم لي بردات فعلي .

عدنا لمنازلنا بعد وقت ليس بطويل و لكن ذهني شارد بحديث ليل بالطبع أنا أفتقد البيانو كثيراُ فهو كان رفيقي الأول منذ عمر الرابعة و لكن مجرد ذِكري لكلمة بيانو يؤرقني و يذكرني بما حدث لي ، لذا لا لن أعود للعزف فقد إعتزلت بشكل نهائي و لا أرغب بالعودة مطلقاً .

حتى لو أردت العودة أنا لم أتدرب منذ الكثير من الوقت و أصابعي أصابها التيبس لذا لا ، في تلك الليلة تناولت حبتين من دوائي المنوم علّ أفكاري تهدأ قليلاً و أنام لأنسى كل ما يَشغل تفكيري ...

في الصباح إستيقظت على صوت جرس المنزل لقد غططت في النوم بفضل الدواء و نسيت موعد قدوم ليل و سام فاليوم عطلة و اتفقنا أن نقضيه سوياً بمنزلي ، نهضت أترنح بعيون نصف مغلقة أفتح لهما الباب ليتفاجئا بمنظري المبعثر هذا

لدرجة أن صوت ضحكاتهم يصل ربما لآخر البناية طفلان حقاً ..

تركتهما حتى أرتب مظهري هذا و أستعيد نشاطي قليلاً و عندما عدت لهما كان ليل حضّر مائدة الإفطار و بانتظاري هو و سام في المطبخ ، جلست بعيون ناعسة و وجه منتفخ أحدق بهما بتيه حتى إنتهى الإفطار أخيراً بعد عناء مني محاولة في إستيعاب ما حولي فعقلي مازال نائم ربما أو يتجاهلني لا أعلم !

حتى فتح سام موضوع ما و بدأ الحديث .....

- ميمي أتعلمين طلبوا منا في الروضة أن نختار نشاط ما لنقوم به و نتعلمه .

حقاً صغيري .. جيد لأجلك ، إذاً ماذا إختارت ؟؟

- الموسيقى

اووو إختيار موفق ، يبدو أن ملاكي الصغير يتمتع بذوقً فنياً ، قلتها أمدح إختياره .

- و لـ لكن أنا .....

تعثر بكلماته يبدو متردداً و نظر للأرض مما آثار إرتيابي .

ما بك صغيري ؟ تحدث لا تخف هل هناك خطب ما يشغل عقلك الجميل

- لا ميمي أنا فقط إختارت البيانو ..

قالها بخفوت شديد و وجه عابس أو خائف لا أدري ، حينها فقط أدركت الخطب لأرمق والده بنظرةٍ مرعبة جفل إثرها .

- لا تنظري لي أنا لا أتدخل في إختياراته ابداً ، هو فقط أعجب بعزفك و عندما واتته الفرصة إختار السير على نهجك ، بربك هل سأُشرك طفلي في خطة ما !

صمت قليلاً لأفكر ، أنا لا أستطيع منعه من إختيار شئ محبب له كما أنه لا ضير من تعلم سام للبيانو لما أعترض بالأصل هى حياته و إختياره ..

حسناً صغيري أتمنى لك التوفيق البيانو آلة رائعة و من السهل تعلمها في سن صغيرة كما سنك ، لنخبر المعلمة غداً بإختيارك ، صرّحت عن موافقتي و ترحابي بقراره لأحتضنه و أقبل صدعه ، ملاكي أنا فخورة بك دائماً و أبداً مهما كانت إختياراتك .

- إلهي أنتِ تفسديه بدلالك المبالغ به سيصبح طفلاً مدلل حقاً

قالها ليل لأمد له لساني بغيظ ، إنه ملاكي المدلل لا دخل لك ، و ضحكنا جميعاً أنا حقاً أفسد هذا الطفل بدلالي المفرط .....

بعد العشاء خرجنا للحديقة قليلاً ليلعب سام و نتمشى نحن ، لقد قضينا اليوم بالمنزل و هذا ممل بعض الشئ

- غيمة أحقا لستِ مستاءة بسبب إختيار سام للبيانو ؟؟

بربك ليل كيف أستاء و هو إتخذ مني قدوة له **؟!**

البيانو ليس عدواً لي ، أنا فقط تفاجئت كنت على علم بمتابعته للكثير من حفلاتي معك من خلال الفديوهات المنتشرة لي و لكن لم أتوقع ابداً أن يختار تَعلم العزف هو أيضاً و خاصة البيانو .

اتمنى ألا يندم على إختياره فهو لازال صغير لا يدرك ما يحب بالفعل ، و لكن كما أخبرته أنا معه بكل إختياراته لو لم يحب البيانو ليختار شئ آخر لن نمنعه .

- شكراً ميمي ، قالها ليل ممازحاً .

في اليوم التالي أخذت سام للروضة و تحدثت مع معلمته بشأن تعلم البيانو و تعرفت على مواعيد حصص العزف و غيرها ، ليبدأ ملاكي الصغير مرحلة جديدة بحياته و هى العزف على البيانو

أو رفيقي السابق ...

ليل

مرّ قرابة الأسبوعان مذ بدأ سام تعلم العزف على البيانو ، كنت سعيد للغاية بإختيار ابني لتلك الآلة الجميلة و لكن سام كان دائم التأفف بسبب قلة عدد الحصص رغم أنه في البداية و لكنه يبدو شغوف للغاية ، حينها فقط جائتني الفكرة و قررت إستغلال ملاكي الصغير ..

لا أعلم مدى صحة ما سأفعل و لكن لا ضير من المحاولة ، مررت على غيمة حتى نذهب و نأخذ سام سوياً من الروضة فقد تواعدنا على الذهاب لمقهى السيد كلاريس فنحن لم نذهب منذ مدة ..

- سام عزيزي كيف حالك اليوم أكان اليوم ممتع ؟ هل إستمتعت بحصة الموسيقى ؟

سألت هى و يبدو أن طريقي سوف يصبح أسهل كثيراً بما أنها

هى من فتحت الموضوع

- اجل ميمي إستمتعت كثيراً و لكني لم أتقدم في العزف حتى الآن ، أريد أن أصبح مثلك سريعاً .

- لا تتعجل صغيري فـأنا أخذت الكثير من السنوات بالتدريب لم أصبح عازفة بين ليلةٍ و ضحاها .

كانا الإثنان يتحدثان بخصوص تَعلم البيانو طوال طريقنا إلى المقهى بينما أنا كنت شارد ف تفكيري فـأنا لم و لن أستسلم حتى تعود غيمة للعزف مهما طال الزمن و بائت محاولاتي بالرفض لن أستسلم ابداً ....

وصلنا أخيراً و أثناء إحتسائنا للقهوة قررت طرح الأمر مرة آخرى

غيمة ما رأيك بمساعدة سام بتعلم العزف ؟

- أنا بالفعل أساعده أجاوب جميع أسألته و أعطيه بعض النصائح التي تفيده بحسب عمره ، كما أن معلمة الروضة خاصة الموسيقى جيدة للغاية .

أنا أعلم بكل هذا غيمة و لكن أقصد بمساعدته هى تدريبه على

العزف في أوقات آخرى بخلاف أوقات الروضة ، تنهدت بعمق و أغلقت عيناها تضغط جفونها سوياً مما وترني .

- ليل ألن تمل من هذا الموضوع حقاً ؟!!

أنا لا أقصد شئ بتاتاً ، أنا فقط أطلب منكِ مساعدة سام إذا بإمكانك ، و هنا قرر ملاكي التدخل و إنقاذي

- اجل ميمي لما لا تُعلميني العزف فأنتِ أكثر مهارة من معلمتي ، لنُحضر بيانو و تقومين بتعليمي .

- آسفة صغيري فقد تركت العزف منذ فترة طويلة و لن أعود له مرة آخرى .

و لكن ....

- ليل .. سام ماذا تفعلون حقاً الابن و والده ، لن أرضخ لتلك النظرات الحزينة هيا إنهو ما أمامكم .

حسناً حسناً لا تغضبي

بالطبع رفضت كما توقعت و لكني لن أستسلم ، سام وحده القادر على إقناعها فهى لا ترفض له طلب أياً كان ....

غيمة

اه رأسي يكاد ينفجر من ثرثرة سام و ليل اللا متناهية عن البيانو فمنذ بدأ سام التعلم منذ أكثر من شهر و هما لم يَكُفا عن مطالبتي بتعليمه .

أعلم جيداً برغبة ليل في عودتي للعزف مرة آخرى و لكن هذا يكاد يكون مستحيلاً ، لا أنكر ابداً إشتياقي للعزف و المسارح الكبرى التي قضيت بها معظم أيام حياتي و لكن بالفعل الأمر صعب علي أكثر مما يتخيل ليل و سام .

يبدو أنهما لن يكفا عن المحاولة حتى أرضخ لهما فقد إتفق على إزعاجي الطفل و والده

أثناء تناول الطعام ميمي علميني العزف ، عند الجلوس في الحديقة غيمة ساعدي سام و لنجلب بيانو ضخم يتعلم عليه

عند خروجنا من الروضة ميمي معلمتي طلبت مني أن تساعديني بالعزف ، حقاً !!

يا إلهي هذا الطفل سيرسلني إلى الجنون هو والده .

سافر ليل في مهمة لعمله و طلب مني المكوث أنا و سام بمنزله لم أندهش فهذا أصبح وضع معتاد بالنسبة لنا و لكن الغريب هو أنه بحلول المساء هاتفني يطلب مني الذهاب إلى منزلي ، هناك أمر ما يحدث أنا واثقة من هذا و لكني سأعلم به قريباً ..

ذهبت لمنزلي و بيدي صغيري و الذي كان واضح عليه اللهفة بشدة أعتقد هو يعلم بما يخطط والده ذلك الصغير الحذق أصبح الآن يخفي الأسرار .....

حاولت الإتصال بـليل و لكنه لم يُجب لذا دخلت إلى المنزل لأنتظره و لكن ما قابلني بقدر ما أدهشني بقدر ما آثار إرتعابي ..

كان هناك بيانو ضخم يحتل جزء كبير من صالة منزلي ، أفلت سام يدي و ركض يتأمل البيانو و أنا كما كنت مُتيبسة في مكاني أحدق بالبيانو بأعين زجاجية ، لا أعلم ما هى ردة الفعل التي يجب علي إصدارها ..

لا أُنكر المشاعر المختلفة التي إنفجرت بداخلي لمجرد رؤيتي لتلك الآلة ، كانت مشاعر متداخلة ما بين الإشتياق الحزن

اللهفة و الآلم مشاعر عدة لا أعلم كيف أصفها ، فقط دموعي تسلك طريقها خارج عيناي بغزارة و جسدي يأبى التحرك .

كنت مترددة ما بين الهرب من هذا المكان و بين معانقتي لرفيقي الأول و الذي سار معي طوال سنين عمري و مختلف مراحل حياتي ، رفيقي القديم و الذي سرق والداي مني .. البيانو .

ليل

بعد مدة طويلة من المحاولات مع غيمة للعودة للعزف مرة آخرى و جميعها كانت فاشلة ، حاولت التخطيط أنا و سام لنُجبرها على العودة و لكنها لم تتأثر من ثرثرتي الدائمة حولها أنا و سام عن نفس الموضوع .

و هنا أدركت الحل أخيراً وهو وضعها تحت الأمر الواقع ، كنت أخشى إنتكاس حالتها النفسية بسبب ما سأفعله و لكن لابد لي من التجربة .

طلبت منها الإعتناء بـ سام في منزلي متحججاً بسفري للعمل و أثناء ذلك نفذت خُطتي الصغيرة ، ذهبت للعاصمة بالفعل و لكن ليس للعمل بل لشراء بيانو قمت بإختياره أنا و سام من خلال موقع الكتروني .

جلبت البيانو و وضعته في صالة منزلها ، نعم أنا أملك نسخة إحتياطية من مفتاح منزلها للظروف الطارئة و هي كذلك أيضاً .

بعد تجهيز البيانو و العشاء و كل ما وددت تجهيزه كانت اللحظة الحاسمة حيث هاتفتها و طلبت مجيئها للمنزل ، أرجو ألا يتفوه سام بأي كلمة تكشف خطتنا .

في طريقهم لهنا كان قلبي ينبض بعنف و توتر أخشى غضبها أو تضرر حالتها النفسية التي حاولت جاهدة على مدار أشهر أن تعود لطبيعتها بعد ما أصابها من إكتئاب شديد .

سمعت صوت المفتاح عند فتح الباب و كان نبضي يزداد كل لحظة ، بالفعل تفاجئت هى لم تنظر لي و لم تلحظ سام المتعلق بالبيانو بلهفة ، فقط كانت نظراتها معلقة على البيانو و قد شحب وجهها دموعها تتساقط بصمت لم تتفوه بحرفٍ واحد ، كانت كمن رأى فزاعة ما ، الخوف يملأ ملامحها .

أعلم أنها الآن في صراع عنيف بين بًغضها لما حدث لوالديها و التي دائما تربطه بالبيانو و بين إشتياقها لتلك الآلة التي كانت في يوم من الأيام كل ما تملك و تهوى .....

غيمة

لا أعلم كم من الوقت مرّ و أنا على حالتي تلك من التيبس و التشتت بين الوعي و اللا وعي ، لا أسمع أو أرى شئ من حولي سواه .. البيانو

عادت لي حواسي أخيراً عند شعوري بـ سام يحتضن قدماي و يحادثني بصوتٍ خائف .

- ميمي ما بكِ ؟ لما تبكين ألم تعجبك المفاجأة ؟!

- آسف ميمي لا تبكي لم أرغب في إحزانك .

مسحت على رأسه فهو صغير لا يعي ما يحدث ، لا عليك صغيري أنت لم تُحزنني أبداً

جثوت أمامه لكي أوزاي طوله ، و لكن ميمي تحتاج إلى عناق سام ....

و عانقني ملاكي كما طلبت ، إزدادت دموعي و حرقة قلبي و لكن هذا العناق أمدني بالقوة حسسني بالأمان كالعادة و في لحظات تبدل تفكيري و إتخذت قرار ربما أندم عليه طوال حياتي .

حسناً صغيري ميمي ستدربك على البيانو كما ترغب ....

وافقت على تدريبه فهو ملاكي و لا أستطيع رد له طلب ، و الآن فقط رأيت ليل الواقف أمامنا يبتسم بحب و هناك بعض الدموع في عيناه .

غسلت وجهي حتى أستعيد رشدي قليلاً و عدت لهم لنتناول العشاء ، طوال فترة العشاء كنا جميعاً صامتين الجو مشحون بطاقة من الكآبة نوعاً ما حولنا كما أنني كنت غارقة في تفكيري بين رفضي لما حدث و لتلك الآلة القابعة بمنزلي و بين لهفتي للجلوس أمامها و بدء العزف مرة آخرى .

ليل

كنت أراقب المشهد من بعيد و أشعر بقلبي يتمزق حزناً عليها و على ابني الخائف ، هل أخطأت بفعلتي ؟!

و لكن كلا لن أتركها حبيسة صدمة الماضي يجب عليها أن تتجاوزها و تمضي قدماً ، لم أستطع كبح دموعي عند رؤيتها تحتضن سام و تبكي و لكن ما حدث بعدها أثلج قلبي فهى وافقت على تدريبه هذا يعني عودتها للعزف ..

تمالكت نفسها أخيراً و جلسنا حول المائدة بصمتٍ قاتل حتى سام الثرثار لم يتفوه بحرف واحد ، و لكني حقاً قلق من هذا الصمت المريب ، قلق من تركها وحدها برفقة غريمها " البيانو " في مكان واحد أخشى أن تؤذي نفسها أو يحدث معها خطب ما ....

تأخر الوقت و حان وقت مغادرتي ، ودعتنا غيمة حتى باب المنزل و لكن توتري غلبني تلك المرة أيضاً

هل ستكونين بخير وحدك .. معه ؟ و أشارت برأسي لتلك الآلة الضخمة المتواجدة بالداخل ، تلفتت تنظر له بتعابير وجه

غير مقروئة

- لا تقلق أنا بخير لن يحدث شئ ، فقط أحتاج وقت حتى أعتاد ..

حسناً تُصبحين على خير ، أراكِ في الصباح .

أغلقت الباب و ذهبت أنا لمنزلي و لكن كل تفكيري عندها هى و البيانو ، بعد مدة راسلتها أكثر من مرة و لكنها لم تجب تأخر الوقت و ربما هى نائمة .. لا أعلم كنت أتقلب في فراشي في صراع مع نفسي هل أذهب للإطمئنان عليها ام هى فقط نائمة و كل شئ بخير ، ظللت شارد بأفكاري حتى صدح صوت هاتفي بوصول رسالة منها " أنا بخير لا تقلق " كانت مجرد كلمات بسيطة و لكنها ساعدتني على النوم بعدما إطمئننت عليها .

غيمة

غادر سام و ليل و تركاني بمفردي في مواجهة مخاوفي ، حسناً لا أعلم ما هو التصرف الصحيح هل فقط أتركه و أذهب للنوم ام ماذا أفعل ؟!

تلمسته بأطراف أصابعي بتردد واضح ليقشعر بدني ، جلست أمامه لفترة طويلة فقط أحدق به و أشعر به يحدق بي أيضاً هو الآخر .

كنت أسمع صوت وصول الرسائل لهاتفي و التى لابد أن تكون من ليل القلق يرغب بالإطمئنان علي و لكني لم أستطع المغادرة من أمام البيانو .

أغمضت عيناي أتذكر أول بيانو قام والدي بشراؤه لي عندما كنت في الرابعة من عمري و كيف بدأ تدريبي عليه ، كان يمر أمامي شريط الذكريات الخاص بحياتي برفقة البيانو كفلم بالي ..

ذكريات تدريبي و أول حفل لي ، جلوسي على المسرح و تصفيق والداي الحار ، جميعها مرت أمامي ببطئٍ شديد وصولاً بلحظة الحادث لأنتفض فجأة فزعة و أنهض من أمامه .

ركضت هاربة كمن رأت شبح ما ، و بعد فترة هدأت دواخلي قليلاً لأراسل ليل أطمئنه و بعدها رميت بهاتفي لأتمدد بفراشي أنظر للسقف .

كان هناك ضجيج عالٍ يضج بعقلي بعكس الصمت القاتم من حولي ، ظللت في ثباتي هذا لما يقارب الرابعة صباحاً ، أرسلت رسالة لـ ليل أخبره بها بعدم مقدرتي على الذهاب معهم غداً إلى الروضة كالعادة و خرجت من غرفتي لأقابل عقابي و مصدر سعادتي و آلمي في الوقت ذاته .

زفرت محاولة إستجماع شجاعتي لأبدأ العزف لأول مرة منذ ما حدث ، يدي كانت مترددة في الذهاب و الضغط على مفاتيحه و لم أستطع إجبارها حقاً ..

نهضت لأفتح جميع الشرفات ليدخل نسيم الفجر البارد لداخل المنزل يختلط مع عبق زهوري ربما يخفف الحمل على قلبي و يشجعني قليلاً ....

و بعد عدة محاولات مني أخيراً تحركت أصابعي على مفاتيح البيانو لأبدأ العزف بمقطوعة لبيتهوفن كانت من مفضلات أمي

عزفت و عزفت و عزفت و لم أعي ما حولي حتى رأيت الشمس ساطعة في وسط السماء و الساعة تجاوزت التاسعة صباحاً ، لأغادر من أمام رفيقي أرتمي على فراشي في ثبات عميق ..

ليل

غفوت في وقت ما و إستيقظت في السادسة لأجد رسالة غيمة بعدم إستطاعتها بالقدوم للروضة و كان ذلك في الرابعة صباحاً يبدو أن النوم لم يزورها ، أيقظت سام و أنهينا روتيننا الصباحي لأوصله إلى الروضة بين أسألته عن غيمة لما لم تأتي كعادتها

كيف أخبر هذا الصغير عن روحها المرهقة لدرجة أن يأبى النوم زيارتها ؟!

إلهي ساعدها و ساعدني ، كنت متردد بالذهاب إليها ام تركها ترتاح و تتعامل مع الموقف بطرقها الخاصة

قررت الذهاب إليها برفقة سام بعد خروجه من الروضة ، و لكن و كأنها تقرأ أفكاري وصلتني منها رسالة بحلول موعد عودة سام إلى المنزل تطلب مني عدم التواصل معها لمدة حتى تلملم شتات أفكارها ...

هل حقاً الموقف بمثل هذه الصعوبة ؟!

مرّ يوم و أثنان و خمسة و القلق أكلني من الداخل و سام مستمر في سؤالي عنها و عن سبب إختفائها ، حتى أنقذتني برسالة من كلمات بسيطة و لكنها أعادت الحياة بداخلي " أنتظركم على العشاء اليوم " .

غيمة

إستيقظت بعد عدة ساعات و لأدراكي بقلق سام و ليل بالتاكيد سيأتوا للزيارة و لكني في حالة لا تسمح بذلك البتة

طلبت منه أن يعطيني وقتي برسالة نصية مقتضبة و أنا آسفة حقاً لذلك و لكن لابد لي من التأقلم لا تراجع بعد الآن .....

قضيت عدة أيام كل ما أفعله هو العزف المتواصل لا طعام و لا نوم فقط العزف ، كنت أعزف بإشتياق بالغ أبكي و أضحك بين عزفي تجتاحني دفعات عميقة من المشاعر المختلطة كنت أخرجها جميعها كمعزوفات موسيقية

أرى إبتسامات أبي و أمي من حولي لأشعر بسعادتهم بعودتي للعزف مرة آخرى ، في نهاية اليوم الرابع لم أستطع المقاومة سقطت نائمة بعمق و أستيقظت في الصباح بنشاط بالغ ، أشعر بالشوق الشديد لسام و ليل .

إشتقت لهما كثيراً خاصةً ملاكي الصغير لذا قررت أن ألتقي بهما اليوم لنتناول طعام العشاء معاً

أرسلت لـ ليل رسالة بذلك و أعتقد إنه يرقص فرحاً هو و ابنه الآن لابد أنهما إشتاقا لي أيضاً ..

رتبت المنزل و الذي كان فوضى بالطبع فأنا أهملته منذ عدة أيام ، رويت الزرع المسكين الذي إنشغلت عنه و شرعت في إعداد جميع أصناف الطعام المفضلة لديهم و بالطبع كعكة التوت الأزرق ..

مرّ اليوم سريعاً نظراً لإنشغالي بعدة أعمال بدلت ثيابي و في تمام السابعة صدح صوت جرس الباب

فتحت بلهفة فأنا مشتاقة لهم للغاية و ما قابلني هو إبتساماتهم العريضة و العديد من البوالين الملونة مربوطة بشريط حول رسغ سام .

ليل

أخيراً سنلتقي بها بعد مروة فترة كبيرة فخمسة أيام هى بالفعل مدة طويلة نحن بالعادة نجتمع يومياً ، لا أستطع وصف حماس سام فهو لم يثبت بمكان واحد لأكثر من دقيقة بفضل حماسه المفرط لمقابلة عزيزته ميمي .

في السادسة إرتديت أنا و صغيري أفضل ملابسنا و كأننا ذاهبين لحفلٍ هام ، كنا بغاية الوسامة

الإبتسامة لا تفارق وجه سام كنت أشعر بقلبه يقفز فرحاً ، يداي متعرقتان و شوق كبير يدفعني للإسراع و الذهاب إليها ، إقترح سام أن نأخذ هدية لها في طريقنا و كان إقتراحه لطيفاً مثله

إختار مجموعة بوالين ملونة ذات أشكال لحيوانات ظريفة ، كنا نسير بحماس واضح علينا

و كل ما يدور بعقلي مقولة ما قرأتها في إحدى الكتب من قبل

" لم أجد شئ يليق بلقائك و لأنني كنت على عجل جئت مرتدياً قلبي " لم أجد ما يعبر عن شعوري حقاً سوى هذه المقولة .

وصلنا أخيراً بعد طريق طال كأبد الدهر لتفتح لنا الباب بإبتسامتها العطوفة و رائحة كعكة التوت الأزرق تملأ المكان...

غيمة

لم يتفوه أياً منا بكلمة كنا فقط ننظر لبعضنا البعض بإبتسامات كبيرة و لهفة واضحة بأعيننا ، كان ثلاثتنا يرتدي ملابس أنيقة للغاية و لا أعلم لما !! و لكنها كانت بمحض الصدفة .

إنحنى سام قليلاً يمد لي البوالين بحركة تُشبه حركة الملوك القدامى مما فاجئني ..

- تفضلي سيدتي هدية من إختياري آنسة ميمي .

قالها بطريقة درامية و لم أتمالك نفسي حتى جذبته بعناق ضيق وسط قهقاته ، كان كل شئ جميلاً

الطعام و وقتنا معاً حتى أحاديثنا كانت جميلة ربما هذا الشعور بفعل إشتياقنا لبعضنا البعض .. !قررت بعد مدة أن أتطرق للموضوع الهام و السبب الرئيسي لهذا العشاء .

تحمحمت و طرقت بملعقتي على كوب العصير أمامي كما يفعل أصحاب الطبقة المخملية في حفلاتهم الراقية ، نهضت و إنحنيت قليلاً

سيد ليل ، سيد سام ... إفتقدتكما كثيراً و الآن هناك موضوع بالغ الأهمية علينا التحدث به

كان الأب و ابنه يضحكان بشدة على فعلتي الحمقاء و لكنهما إستمرا بالتمثيل معي .

- تفضلي سيدة غيمة كلنا آذان صاغية .

- تفضلي سمو الأميرة ميمي أنا و بابا نسمعك .

حسناً قررت أنا الأميرة غيمة ببدء دروس البيانو غداً لسمو الأمير الصغير سام ليُصبح أشهر عازف في البلاد و خليفتي بالمسارح .

ما إن أنهيت جملتي حتى قفز سام بسعادة معانقاً إياي و كان ليل ممسك بكفي الحر و كأنه يخبرني أحسنتي القرار ، ربما يرانا البعض حفنة من الحمقى أو المختلين و لكننا نحيا في عالمنا الخاص بسعادتنا الخاصة .

ليل

لا توجد كلمات تصف سعادة سام بتعليم غيمة له العزف ، كان يركض بعد إنتهاء دوامه بالروضة و يسرع بخطواته للذهاب إلى منزل غيمة ليبدأ درس العزف فهو تعلق بالبيانو و بطريقة غيمة اللطيفة في تعليمه .

غيمة دائماً ما كانت تعامله كأم حنون ، إزداد تعلقنا بها و الحقيقة أنا شاكر للغاية لدخولها حياتنا

" اسمها غيمة و كانت بالفعل غيمتي الظليلة لي و لابني تملأ حياتنا مشاعر جميلة كحبات المطر الربيعية "

غيمة

مرّت عدة أسابيع مذ بدأنا أنا و سام بحصص تعلم العزف تلك ، لا أنكر أن البداية كانت صعبة بعض الشئ فأنا لم أتجاوز صدمتي بالكامل بعد كما أنها المرة الأولى لي بتعليم أحدهم أصول و قواعد العزف و خلافه .

كنا نقضي ساعتين يومياً في التدرب و الذي بمرور الوقت أصبح متعة لي تحولت إلى شغف

شغف برؤية صغيري سعيد بتقدمه في التدريب ، و حماس بعودتي للعزف .

المشاكس الصغير أخبر معلمة الموسيقى عني و كانت تطلب مشورتي بين الحين و الآخر و التي و بالمصادفة كانت إحدى معجبيني و لكنها كانت خجلة من إخباري و إنتهاك خصوصيتي .

و بعد مرور شهران ربما أو أكثر و بعد العديد من النقاشات بيني أنا و سام و ليل و معلمة سام بالروضة كُنت ضيفة الشرف في حفل الروضة الموسيقي لهذا العام .

كُنت متوترة للغاية فمنذ حفلي الأخير بموطني لم أعزف أمام أحد ، ربما جمهوري هنا هو الصغار زملاء سام و أولياء أمورهم و لكن هذا لم يقلل من توتري ..

إختار سام لي ثوبٌ أنيق لأرتديه في الحفل حتى أبدو جميلة ، كان حماس ليل و سام مضاعف لحماسي و ذلك بسبب صعود سام للمرة الأولى على المسرح .

إستعددنا جيداً و اليوم كان حافل بالكثير من النشاطات للأطفال الصغار حتى آتى دور سام بالعزف

كان يبدو كأمير وسيم ببذلته الرسمية التي جلبها له والده ، خَطى سام بثبات و صعد الكرسي ليبدأ بالعزف بمقطوعة موسيقية صغيرة ، كنت مفعمة بالسعادة و المشاعر عند رؤيتي له و لثقته بنفسه و ثباته ..

إنتهى من العزف لينحني لنا كعازفٍ مخضرم و جميع الحاضرين صفقوا له بحرارة ، ملاكي الوسيم كان رائعاً حقاً .

و بعد فترة حان دوري كنت متوترة كطفلة بيومها الأول في المدرسة و لكن كلمات ليل و تشجيع سام أمّدوني بالقوة اللازمة ، جلست على مقعدي أمام البيانو لأبدأ العزف

بمعزوفة بيتهوفن " سيمفونية إنتصار ويلنغتون " و التي كانت واحدة من مفضلات والداي

كنت أضغط على مفاتيح البيانو بشغف و حماس ، كان المكان فارغ من حولي لا أرى سوى ملاكي و ليل ينظران لي بفخر واضح ، تنساب الموسيقى بروعة خارج البيانو و كأن روحي تُعانق الألحان .

إنتهت المعزوفة و كان صوت التصفيق و التشجيع يضج من حولي ، تجمع حولي الصغار أصدقاء سام بحماس بالغ لأشعر حينها بأنني ملكة الكون ....

ليل

سام كان يقضي الكثير من الوقت برفقة غيمة في التدريب على البيانو ، تطورت مهاراته كثيراً كما أرى أن غيمة أصبحت مع الوقت تتعامل بطبيعية مع البيانو و تتخطى إضطرابها شئً فشئ .

بعد مدة كان موعد الحفل المنتظر الحفل الموسيقي الخاص بروضة سام حيث طلبت معلمته من غيمة أن تكون ضيفة بالحفل و تعزف مقطوعة من إختيارها ، و بالفعل أقنعناها أنا و سام .

كنت متحمس للغاية ، إخترت ملابس صغيري بعناية فائقة كنت أرغب بأن يكون أجمل طفل في الحفل فهو عازف المستقبل .

آتى اليوم أخيراً كنت متوتر و متحمس للغاية ابني سيظهر أول مرة على المسرح و سأرى عزف محبوبتي مباشرةً لأول مرة ..

نعم فأنا أدركت إعجابي الشديد و مشاعري تجاهها منذ مدة و لكني لم أخبرها بعد و لكن أعتقد الشعور متبادل ..

سام صعد على المسرح الصغير بخطوات واثقة ليبدأ العزف بأصابعه الصغيرة ، كنت أنظر له بفخرٍ جم ابني الغالي ، غمرني الكثير من المشاعر و من بينها كانت الإشتياق .. الإشتياق لـ روزا زوجتي الغالية ، تُرى كيف سيكون ردّ فعلها لو كانت موجودة بهذه اللحظة ؟

أعتقد إنني أعلم بردة فعلها من ردة فعل غيمة التي تنظر لسام بفخر و حالمية عظيمة عيناها تدمعان أراها تضم كفاها إلى قلبها و الإبتسامة تكاد تشق وجهها الجميل ..

غاليتي و عزيزتي و فقيدتي " روزا " الجميلة ملاكك الصغير نمى جيداً و أصبح يمارس الكثير من الهوايات لا تقلقي فهو يحصل على الكثير من الحب و العطف من أبيه و رفيقته الحنونة

واثق إنكِ تراقبينه من الأعلى و سعيدة بما وصل له كِلانا .. إرقدي بسلام فقيدتي الغالية .

غيمة

بعد حفل الروضة أصبحت معتادة على زيارة الأطفال في حصص الموسيقى و مساعدة معلمتهم قليلاً ، كما أضفنا فقرة أسبوعية كنت أعزف لهم مقطوعات لمدة نصف ساعة .

الأطفال إستمتعوا حقاً بتلك الفقرة ، كما اكتشفت حينها ولعي بالأطفال و مراقبة عزفهم و تصحيح أخطائهم التي يقعوا بها مع الآلات الموسيقية ، كنت أبدو كمعلمة في معهد الموسيقى ...

معهد للموسيقى !! و لما لا

راودتني الفكرة لمدة ليست بالقصيرة لما لا أفتتح مدرسة صغيرة لتعليم البيانو للأطفال ، حقاً سيكون مشروع رائع أشغل به وقتي و أمارس به ما أحب بين الملائكة الصغار ، كنت مترددة في البداية من طرح الفكرة على سام و ليل و لكني تشجعت بالأخير و أخبرتهم أثناء تناولنا للغداء في يوم ما وسط الأسبوع .

و للحق حماسهم و موافقتهم شجعتني للسعي في هذا المشروع ، لذا قررت بدء البحث عن مبنى يصلح لأنشاء مدرسة صغيرة ، نحن نعيش في مدينة صغيرة نوعاً ما و ليس من الصعب العثور على مكان مناسب و لكني كنت أملك مواصفات خاصة حيث أرغب بمكان في موقع جيد و تهوية جيدة يحتوي على نوافذ عدة تسمح بدخول الشمس و الهواء للمكان .

أرغب بمكان يسمح للأطفال بالتنفس و التعبير عن ذاتهم لذا تأخرت في العثور عليه قليلاً حتى ساعدتني السيدة كيارا مالكة المبنى الذي يقطن به ليل و وصلتني للمكان الذي أتمنى بالفعل .

مبنى مكون من طابقين يطل على الجانب الآخر من الحديقة بينهما طريق للسيارات و ملحق به حديقة صغيرة كما يتوفر به عدة شرفات فسيحة .

كان يحتاج إلى الكثير من العمل و لكنه يستحق الإنتظار ، وقعت العقد و أصبح ملكي أخيراً ، أول مشروع خاص بي لأبدأ فوراً بالتجهيزات الخاصة به من ديكورات و معدات سأحتاج لعدة أسابيع قبل الإفتتاح و لكن لا يهم فأنا معي كل الوقت .

ليل كان يساعدني دائماً ، و جوده بجانبي في تلك الفترة أمدني بالراحة ، علاقتنا بأكملها تُشعرني بالراحة و السعادة ، دائماً ما تخالجني مشاعر مختلطة بوجوده لأدرك مع الوقت أن ما أكّنه له تجاوز مشاعر الصداقة أو الإعجاب و لكني خجولة لأبوح بذلك .

ليل

فاجئتني رغبة غيمة في إفتتاح مدرسة لتعليم البيانو و لكن بقدر إندهاشي بقدر سعادتي ، فهى أخيراً تتجاوز صدمتها و تمضي في حياتها و تسعى لبداية جديدة .

كانت لها طلبات محددة في المبنى التي ترغب بإنشاء مدرسة به مما صعب علينا مهمة العثور عليه عليه سريعاً و لكن السيدة كيارا ساعدتنا لتجد غيمة ضالتها أخيراً .

كان مبنى قديم بعض الشئ و لكنه لطيف يملك هالة مريحة ، أخذ وقت طويل إلى حدٍ ما بتجديده و تأثيثه و لكنه يستحق الجهد .

كان أكثر ما يُحيرنا هو إختيار اسم للمدرسة ، فكلٌ منا يقترح اسم مختلف عن الآخر ..

سام يقترح كعكة التوت الأزرق هذا الطفل حقاً مولع بها ، أما أنا اقترح أن تُسمى غيمة على اسم مالكتها ، غيمة تقترح تسميتها سام بسبب ولعها الشديد بملاكي الصغير .

و بعد الكثير من الإقتراحات و النقاشات وصلت غيمة أخيراً إلي اسم و الذي آثار بداخلي مشاعر جميلة ، كيف تمتلك هذا الكم من الحس المرهف و العطف و الإمتنان حقاً .

إنها إنسانة رائعة بمعنى الكلمة فهى قررت تسميتها " الملاك الحارس " تيمناً بـ روزا و والديها الراحلان ، لا تزال تتذكر حديث سام عن والدته و تلقيبه لها بالملاك الذي يرعاه من السماء في بداية تعارفنا

ممتن أنا لها و شاكر للغاية ..

غيمة

مرت علينا أحد عشر شهراً منذ بداية تعارفنا تغيرنا بها كثيراً و تبدلت أحوال ثلاثتنا ، إزدادت علاقتنا قوة و متانة ، إرتباط كلٌ منا بالآخر أصبح أقوى أنا لا أتخيل حياتي بدون سام أو ليل .

تسير تحضيرات مدرسة الموسيقى بيسر أعتقد يمكنني إفتتاحها خلال عدة أسابيع ، ربما الحياة أرادت آخيراً أن تبتسم لي بعد ما حدث و أن تعطيني فرصة آخرى للسعادة و أنا تقبلت الفرصة بصدر رحب ، لا أريد شئ آخر بجانبي ملاكي سام و عزيزي ليل

و قريباً سأعود لعالمي الخاص عالم البيانو .

ليل

مرّ عام و غيمة بحياتي أنا و صغيري ، أرى و بوضوح كل التغير الذي طرأ على ثلاثتنا طوال تلك المدة ، لم نعد نبكي و نعاني من الأرق و الإنكسار كما السابق ، بالطبع هناك أوقات نضعف بها و تهزمنا أحزاننا و لكنها قليلة مقارنة بحياتنا في السابق .

سام تقدم كثيراً في دروس البيانو فبرغم إنشغال غيمة في التحضير لإفتتاح مدرستها لم تهمله أو تهمل دروسه .

بعد يومٍ طويل و مرهق قضيناه بالخارج بين التجهيزات و العشاء بالخارج ، كما سهرنا أمام فلم ما بطلب من سام الذي إفتقد تجمع ثلاثتنا و لأن غداً عطلة نفذنا طلبه لينتهي اليوم بنومي بعمق من شدة الإرهاق .

إستيقظت في الصباح على مكالمة من والدي الوقت لديهم منتصف النهار بالطبع بسبب فرق التوقيت و لكنه لأول مرة يهاتفني بالصباح هكذا .. !

أبي مرحباً .. كيف حالك ؟

- بخير بني كيف حالك أنت و سام و غيمة ؟ هل جميعكم بخير ؟

نعم أبي نحن بخير فقط مرهقين من تجهيزات المدرسة ، و لكن ما بك أبي **؟!**

صوتك لا يدل على أنك بخير كما أن الوقت لا زال باكراً للغاية هنا

- أعتذر بني أعلم أن الوقت باكر لديك و لكن هناك خبر غير سار .

قالها أبي لأتصنم ، رعباً مفاجئ إجتاح قلبي ..

- بني والدتك مريضة و هي بحاجة إلى إجراء عملية جراحية خطرة ، لم أكن سأخبرك لكنها ترفض إجراء الجراحة قبل أن تراك أنت و سام فهى مشتاقة لكم كثيراً ، حالتها حرجة و أخشى عليها للغاية أرجو منك العودة إلى هنا في أقرب وقت أرجوك بني .

إنتهت مكالمتي مع أبي لأجهش في البكاء خوفاً على والدتي فأنا لم أرها منذ مدة طويلة مذ فررت هارباً تاركاً أهلي و موطني ، الآلم يجتاحني يزحف بين خلاياي و أضلعي أخشى أن يصيب أمي مكروه فأنا لن أتحمل خسارة آخرى .

علي الذهاب إليها في الحال و لكن غيمة كيف سأتخلى عنها و أتركها بمفردها ؟؟

إلهي ألهمني الصبر و الحل ، إنتهت نوبة بكائي بعد مدة ليست بالقصيرة و الشكر لله لم يستيقظ سام بعد و إلا فُزع من حالتي تلك .

أخذت قراري بالمغادرة اليوم و العودة إلى موطني و أهلي ، فقط سأطمئن عليها و أعود .

حضّرت حقائبي أنا و سام و أيقظت الصغير أخبره بسفرنا للذهاب إلى جدته ، بالطبع كان يرغب في إصطحاب غيمة معنا و لكن هذا صعب قليلاً في الوقت الراهن .

هاتفت غيمة و طلبت منها أن نلتقي بمنزلي لأخبرها عن رحيلي ، كنت متوتر و خائف أعلم أن الأمر يبدو كمن يهجرها و يتخلى عنها و لكن ما باليد حيلة .

وصلت غيمة أخيراً و كانت مبتهجة كعادتها و لكنها لم تستطع إخفاء صدمتها عند رؤيتها للحقائب بجوار الباب خاصة مع إضطرابي الواضح و هدوء سام بعكس العادة .

غيمة لنجلس على الأريكة يجب أن نتحدث في أمرٍ هام

- لعله خير ليل فهذه الحقائب و ردة فعلك تلك لا تبشر بالخير ، ما الأمر ؟؟

هاتفني أبي صباحاً ليخبرني أن والدتي مريضة و يجب عليها إجراء عملية جراحية بشكلٍ طارئ و هى ترفض الأمر ترغب في رؤيتي أنا و سام قبل الخضوع للجراحة ، أنا لا أعرف ما الأمر حقاً و لكني فزع و مضطرب و مضطر للسفر اليوم لا أعرف كيف أتصرف ؟

كنت أتحدث دون أخذ نفس حتى ألقي ما بجعبتي مرة واحدة ، كنت أخبرها و كأني أتسائل هل قراري صحيح ..

كنت أرغب منها أن تطمئنني و تشجعني على الرحيل ربما أنا أناني و لكن لا يوجد حل آخر .

تلقت غيمة ما يُتلى على مسامعها بصمتٍ تام ، كنت أرى توسع عيناها و إزدرادها لماء حلقها بتوتر شديد ، أشعر بإضطراب نبضها و نابضها و تلك البرودة التي إجتاحت قلبها.

ظلت صامتة لبرهة لتتحدث آخيراً ....

- اه ليل آسفة لتوتري الواضح لا أعلم ما أقول حقاً ، اتمنى أن تشفى والدتك في أسرع وقت

و بالطبع يجب عليكم الذهاب إليها لا تقلق علي أنا بخير حقاً ، متى موعد الطائرة ؟

كانت تتحدث بتلعثم و توتر واضح ، الخوف يضخ من عيناها ، اه حبيبتي غيمة أعتذر كثيراً و لكنها أمي ..

الطائرة بعد أربع ساعات من الآن

غيمة لا تقلقي سنعود سريعاً بمجرد أن نطمئن على والدتي لن نتأخر أعدك ، أعتذر لن أحضر إفتتاح المدرسة و لكن يُمكننا تأجيله حتى عودتنا .

لم تُبدي ردة فعل فقط صامتة تنظر للأرض .

- لا عليك ليل لا تشغل بالك سوى بوالدتك و شفائها ، كل شئ سيكون بخير لا تقلق ، و الآن هيا يجب علينا التحرك للمطار فالمسافة بعيدة و لا نضمن الإزدحام سأقودكم حتى المطار و أعود بسيارتك هيا .

قالتها و لكن جميع نظراتها و تحركاتها كانت تخبرني بالعكس كانت تتراجانا بالبقاء بلغة جسدها

طريقنا نحو المطار كان صامت أنا فقط أقود السيارة و هى تحتضن سام بالخلف و لا تنظر نحوي ، كانت متماسكة بشكلٍ غريب رغم شحوب وجهها فهى أُخذت على حين غُرّة .

وصلنا للمطار أخيراً و كان وقت الوداع ، عانق سام غيمة بشدة و كان يبدو عليه الحزن لمفارقتها فهو و لأول مرة منذ تعرفنا بها يفترق عنها و لمدة طويلة و مسافة بعيدة كتلك ، أفلتها أخيراً لأتمسك بكفها بشدة كنت أحاول تمالك دموعي ..

غيمتي و غيثي و سمائي يا من رويتي قلبي نبضاً من بعد سنينٍ عجاف إشتقت إليكِ من الآن أعدك سنعود .. لن نتأخر كوني بإنتظاري بكعكة التوت الأزرق الدافئة و عبيق الخزامى ..

كوني بخير لأجلي ، وضعت كفي على وجنتها لتميل هى عليه و تطلق العنان لدموعها الحبيسة أخيراً

- سأنتظر عودتكما .. ليل

كان وداعاً مؤلم لكلانا لا نعلم ماذا سيحدث تالياً و لكن القدر سيجمعنا ثانيةً كما جمعنا من قبل .

غيمة

هرعت لمنزل ليل بعد مكالمة منه يطلب فيها حضوري ، إستشعرت شئ غريب في صوته ، عند وصولي صُعقت لتلك الحقائب المتراصة بجوار الباب ، ما هذا ؟ ماذا يحدث ؟!!

ليُخبرني بمرض والدته و الذي يتوجب عليه العودة لأجلها ، كان وقع الخبر علي مؤلماً و مخيف ، فهما مغادران اليوم كنا البارحة معاً و اليوم فقط سيغادران !!

كان الآلم يسري عبر أوصالي ببطئٍ حارق ، هل يجب علي أن أجيبه بكلمات ام فقط الصمت كافي

هل أبكي و أمنعه من الرحيل ؟!

ما العمل .. كنت صامتة حتى إستطعت أخيراً تكوين جملة مفيدة متمنية الشفاء العاجل لوالدته .

أعلم هو كان يلقي بحمله علي يريد مني طمئنته أن كل شئ بخير و لن توجد أي خسارات آخرى ، و لكن أنا من يطمئني إنني لن أعود وحيدة و حزينة مرة آخرى ، لن أعود لنقطة البداية السقيمة ...

الطريق إلى المطار كان مؤلم و كأننا نخطو على أشواك ، كنت أعانق سام لي بكل ما أوتيت من قوة ، و كأني أحاول تخزين ما يكفيني من عناقاته و رائحته حتى يعود لي مرة آخرى .

كنت متماسكة من الخارج أبدو كلوحٍ زجاجي بينما بداخلى بركانٌ ثائر ، و صلنا المطار لتزداد ضربات قلبي فلا يفصلني عن مفارقتهم سوى بضع دقائق .

وداعنا كان مؤلم حاولت المحافظة على درعي الزجاجي و ألا أبكي ابداً و لكن إنهار الدرع مع لمسة واحدة من ليل ..

أرغب بالتشبث بهما و منعهما من الرحيل و لكن لا يمكنني لست بتلك الأنانية ، أخشى البقاء وحدي و العودة كما كنت ذابلة و حزينة كزهرة فاوانيا فقدت رونقها و مُراعيها و ساقيها .

كل خطوة يخطياها بعيداً عني كانت تَحرق ذرة من عقلي و تماسكي و إطمئناني ..

هل سيعودان مرة آخرى ؟

هل إنتهت رحلتنا معاً إلى هذا الحد ؟!!

وعداني بالعودة

و لكن الوعود خُلقت لتنقض .....

وداعا ..

لعنة الملك

في عصرٍ ما كانت هُناك مملكة قوية و مزدهرة تَحكم بقعة كبيرة من الأرض ، يقودها ملكٌ عادل و قوي برفقة ابنه الوحيد الأمير الوسيم و الرحيم كما والده .

كانت المملكة تعيش في سلام و رخاء منذ أكثر من عشرة أعوام بعدما انتهت الحروب و هجمات قرية السحرة عليهم .

و عندما بلغ الأمير عمر الخامسة و العشرون و حان وقت زواجه ، أعلن الملك في البلاد عن خبر البحث عن عروس جميلة و طيبة القلب تصلح زوجة للأمير و الملكة المستقبلية للبلاد .

تهافتت عروض الزواج إلى الملك من أغنى العائلات و أكبرها و حتى العائلات الفقيرة و التي تملك فتاة في سن الزواج أرسلت طلباتها للقصر الملكي .

و بعد وقتٍ ليس بالطويل وقع الإختيار على فتاة ما من عائلة متوسطة الحال معروف عن أسرتها صلاح الحال و طيبة النفس .

أُعلن الخبر في البلاد و عُلّقت الزينات و الرايات احتفاءً

بزواج الملك المستقبلي ، كانت تعم البلاد سعادة شاسعة فالأمير محبوب من الجميع .

استمر الإحتفال ثلاثة أيام لا تخلو من الموسيقى و الرقصات و موائد الطعام ، كانت الإحتفالات تستمر من الصباح و حتى قبل غروب الشمس بقليل ..

و في اليوم الرابع أُقيم حفل الزفاف و الذي كان رائعاً بمعنى الكلمة حضره جميع أهالي المملكة بمختلف فئاتها كان الأمير بأبهى حلة و الأميرة فاتنة و الإحتفال غاية في الجمال و لكنه أنتهى قبل الغروب و لا أحد يعلم لما ؟!!

فكل الإحتفالات لم تستمر حتى الليل و لكن لم يعترض أحد فربما هى رغبة الملك .

و لكن في الليل حدث ما رج انحاء القصر الملكي و آثار إندهاش جميع الحرس ، لم يفُت سوى وقتٍ قليل على ذهاب الأمير و زوجته إلى جناحهما الخاص بالقصر لترتج حوائط القصر بسبب صراخ العروس التي كانت تصرخ و تفر هاربة بفستان زفافها خارج القصر .. كانت تصرخ و تركض بذعر حتى وصلت لخارج أبواب القصر و لم يستطع أحد منعها بسبب الإندهاش و الصدمة مما يحدث .

و في اليوم التالي علمت المملكة أجمع بهروب العروس و لكن لا أحد يعلم السبب سواها .....

و على مدار عشرة أعوام أستمر حال الأمير في التدهور فقد أقام العديد و العديد من حفلات الزفاف و لكن تُكرر المأساة كل ليلة تَفر العروس هاربة و مذعورة و لا يعلم أحد السبب .

إنتشرت الأقاويل و الإشاعات بالكثير و الكثير من الأسباب و لكن لا أحد يعلم أيهم صحيح و أيهمَ كاذب ..

أُصيب الأمير بالحزن و الخيبة فهو كان شاب طيب القلب جل مراده هو تكوين أسرة صغيرة و الحصول على أبناء و لكن تحطم قلبه على مدار الأعوام السابقة لعدة مرات مما جعله يرفض الزواج بشكل نهائي .

أصاب الملك المرض و تسلم الأمير زمام القيادة بالمملكة حتى يسترد والده صحته ، و لكن الغريب بالأمر أن الأمير كان يخرج لإستلام مهمامه في الصباح و يعود إلى غرفته قبل الغروب و كانت تلك حالته على مدار أعوام كثيرة فلم يرى أحدهم الأمير خارج غرفته في الليل ابداً منذ تلك الحرب الغابرة التي شارك بها في عمرٍ صغيرة .

إسترد الملك عافيته شيئً فشئ و لكنه ما زال حزين على وضع ابنه الوحيد ، و في يوم من الأيام جاءت فتاة غاية في الجمال تطلب لقاء الملك ..

إستأذن الحراس الملك و أذن لها بالدخول ، طلبت الفتاة التحدث مع الملك على إنفراد في موضوع هام و خاص .

تحدثت الفتاة بتهذيب بالغ .... مولاي الملك أنا في السابعة و العشرون من عمري و من عائلة ميسورة الحال لم يسبق لي الزواج ابداً و أنا هنا لعرض صفقة على مولاي .

هل تقبل بسماع العرض الخاص بي مولاي الملك ؟

دقق الملك النظر بها فهو رجلٌ حكيم يستطيع إستكشاف معادن الناس و الفتاة هنا تبدو لطيفة فهى تملك وجه بشوش و نظرة لامعة و كأن حياتها على المحك و لا يوجد منقذٍ سواه .

حسناً إخبريني بما تريدين أنا مُنصت لكِ و بإمعان ....

أجابها الملك لتستأنف حديثها ، مولاي أنا أعلم أن ابنك الأمير حاول الزواج لعدة مرات و لكن لم تكتمل الزيجة ابداً و العروس تفر هاربة ليلاً بذعر .

همهم الملك .. و نظر نحوها بإمعان ينتظر المزيد

أنا هنا أقدم لك عرض مفيد لكلينا .. أنا أطلب منك تزويجي للأمير و أعدك مهما رأيت لن أفر هاربة ابداً ابداً .

نظر لها الملك بحرص فهو يعلم بوجود مقابل لذلك بالطبع .....

لتُكمل الفتاة العرض و لكن ذلك مقابل ألا يطردني أو يلغ زواجه بي إلا بعد مرور أسبوع على الأقل من الزواج ، لن أهرب في مقابل ألا يتركني إن أراد إلا بعد سبعة أيام .

ما رأيك سيدي الملك ؟؟

و لأن الملك رجل حكيم هو يعلم أن هناك سراً ما خلف تلك الصفقة و لكن لما يرفض فابنه أيضاً يمتلك سره الخاص .

وافق الملك و أخبر الفتاة أن تُحضر أهلها حتى يتم الزفاف و لكن الغريب أنها طلبت حدوث كل شئ في وضح النهار لأنها تملك سبب خاص يمنعها من الخروج ليلاً ، و هنا أدرك الملك أن ما يفكر به صحيح بالفعل هناك سراً ما بهذه الفتاة .

أخبر الملك ابنه بما حدث و وافق الأمير على مضض أن يعيد الكرّة و يتزوج مرة آخرى فهو كان رافض تماماً يخشى أن يُكسر قلبه مرة آخرى ، كما وافق على طلبها ألا يتركها لمدة

أسبوع مهما حدث ، فمهما كان السر الذي تملكه لن يكون أكثر بشاعة من سره ..

أُقيم الزفاف و وقع الأمير في حب العروس من النظرة الأولى فهى فائقة الجمال و الرقة و لكنه رغم ذلك يخشى هروبها ليلاً فزعة كمن سبقها .

إنتهى الزفاف و ذهب العروسان إلى جناحهما الخاص و كان الحرس في الإنتظار إنتظار هروب العروس و هى تصرخ كالعادة و لكن لم يحدث مما آثار دهشة الملك و الحرس و جميع من بالقصر

مرّ اليوم الأول و الثاني و حتى اليوم السابع و لم يغادر أحدهما الغرفة فقط تذهبن الخادمات بالطعام حتى باب الغرفة و يعدن بعد ذلك لأخذ الأطباق الفارغة .

و في اليوم الثامن خرج الأمير الوسيم و زوجته الجميلة ليحيهم جميع من بالقصر حتى وصلا إلى الملك حيث يتناول الإفطار بحديقة القصر .

كان وجههما بشوشاً لا تفارقه الإبتسامة يتسامران و يتحدثان مع الجميع و استمر هذا الحال حتى منتصف الليل مما آثار إندهاش الملك و الذي يعلم لعنة ابنه جيداً فهو طوال اليوم كان

يحثه على العودة و لكن الابن يرفض .

و هنا خرج السر سر لعنة الأمير و سر تلك الفاتنة التي تزوجها ..

فالأمير مصاب بلعنة ألقتها عليه إحدى الساحرات عندما إشترك مع أبيه في الحرب على قرية السحرة التي كانت تعيث في الأرض فسادً و كان عمره حينها خمسة عشر عام فقط .

القت عليه لعنة بأن ينمو له قرنان كل ليلة حتى تحرق قلب أبيه عليه ، و كان هذا إنتقامها من الملك

أما الفتاة فقد تناولت ثمرة سحرية عن طريق الخطأ عندما كانت تلهو في الغابة منذ عدة سنوات و أصابتها لعنة جراء ذلك فهى أيضاً تنمو لها لحيةٌ زرقاء كل ليلة .

و لكسر لعنتها وجب عليها الزواج من شخص يتقبل مظهرها بتلك اللحية و إن إستمر الزواج أكثر من سبعة أيام تُكسر اللعنة و تعود الفتاة لطبيعتها .

و بكشف كلٍ منهما سره للآخر و تقبل كلاً منهم مظهر الآخر و الوقوع في حبه إنتهت لعنة الأمير الوسيم و زوجته الجميلة.

و عاشا سويا عمراً مديداً أنجبوا من الأبناء خمس و عاشت المملكة في رخاء و إزدهار و حب كما فعل الملك و الملكة ذات اللعنة .

فأر وقط

كان هناك فأراً عالق داخل مصيدة ، في الوقت الذي مر به قطاً مصادفة ، رأى القط الفأر عالق بالمصيدة إتسعت عيناه و فرغ فاه ، و ظهرت أسنانه الحادة متجمعة ..

ارتعب الفأر و ارتعد جسده بأكمله و إلتصق بجدار المصيدة إتسعت حدقتاه رعباً و كل ما دار في خُلده أنه سيتم أكله الآن .

و لكن ما حدث أن القط ظل يقرض سلك المصيدة بأسنانه الصغيرة حتى قطعها ، الآن أخرج يا صغير أنجو بحياتك .. لما تنظر لي بهذا الشكل ! هل ظننت أنني سأقوم بأكلك ؟؟

لا يا صغيري أردت فقط مساعدتك ، قالها و ذهب القط في الحال قبل أن يتمكن الفأر من التقاط أنفاسه أو حتى شكره .

هرع الفأر مسرعاً خارج المصيدة ثم اختبئ تحت شجرة يلتقط أنفاسه و يفكر بإستعجاب أين ذهب صديقي الفأر؟!!

لقد أراد كل منا التقاط قطعة الجُبن حتي نسد جوعنا كان معي و أخبرني أن أذهب و ألتقطها و لكن بمجرد أن قفل باب المصيدة لاذ بالفرار تاركاً إياي محبوس وحدي

لولا هذا القط لما كنت حياً الآن .

مرّت الأيام و كان الفأر يجري في الأزقة حتى لمح قطاً جريحاً أخذ يقترب بحذر و خوف و لكن وجده القط الذي أنقذه من قبل ..

توتر الفأر فهو لا يعلم كيف يساعد القط الجريح ، ظل يبحث في الأرجاء حتى وجد صندوق فارغ وضع به القط و حاول سحبه حتى يصل إلى مخبأه ، ظل القط فاقداً للوعي متأثراً بجراحه ، و لكن الفأر لم يستسلم حاول معالجته و إطعامه .

مر ثلاثة أيام ثم فتح القط عيناه متألماً و نظر حوله ، تحدث بآلم أين أنا ؟

أجابه الفأر .. أنت في منزلي لقد وجدتك جريح في زقاق ما .

تعجب القط و لكن شكره ، شكراً لك أيها الصغير لا أعلم كيف يُمكنني رد جميلك هذا

أي جميل لقد قمت بإنقاذ حياتي منذ عدة أيام أتذكر ؟

فكر القط لعدة ثواني ثم أجابه نعم تذكرت

شكراً لك أيها القط على الرغم من أنه كان يُمكنك أكلي و لكنك أنقذتني في الوقت الذي لاذ صديقي فيه بالفرار .

ليجيبه القط .. يا صغيري لقد خلقني الله أقوى منك حتى أتمكن من مساعدتك و مساعدة من هم أضعف مني و خَلق الأقوى مني حتى يساعدني .

الصداقة ليست فقط بين أبناء الجنس الواحد أو الفصيلة الواحدة

الصداقة هي بين القوي و الضعيف ليساعد أحدهما الآخر علي العيش و النجاة

قانون الغابة هو فقط من صنع الإنسان .. أعتقد أن الإنسان هو أخطر حيوان مفترس خلقه الله

البشر هم فقط ما يميزون بحسب الجنس و النوع بحسب اللون و السلالة و لا يعلمون إنهم خُلقوا أحراراً و متساوون

هم فقط يتنمرون و يعنصرون و يبطشون

نأمل أن يشعر البشر بقيمة الحياة و يحيوا معاً حياة عادلة لطيفة كحياتنا نحن الحيوانات .

تمت ..

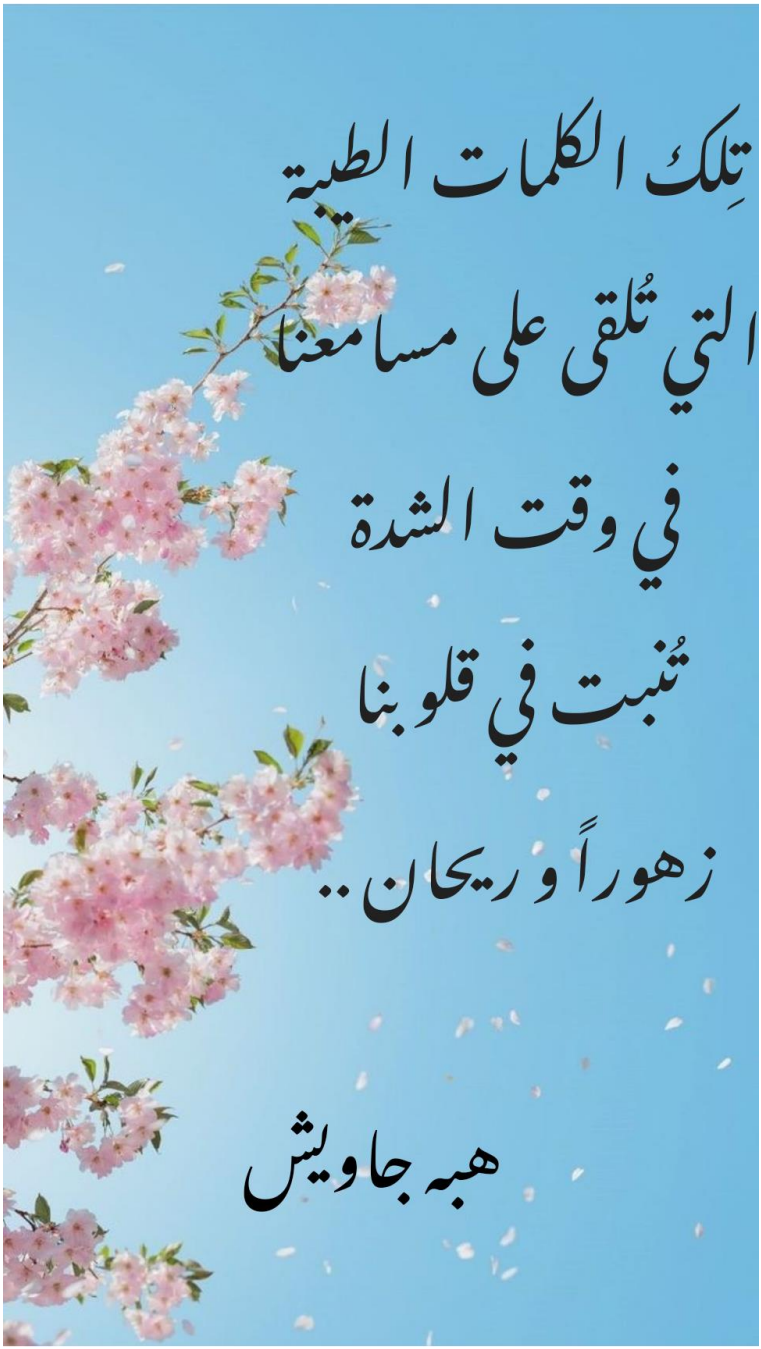
تِلكَ الكلمات الطيبة
التي تُلقى على مسامعنا
في وقت الشدة
تُنبت في قلوبنا
زهوراً و ريحان ..
هبه جاويش